تنبيه

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

مفهوم الأسرة في ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف

د. مصطفى فوضيل ص 8

المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة

د. لخضر بوعلي ص 5

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

المدير المؤسس
المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

المحجة

جامعة نصف شهرية

العدد: 407

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

27 ذو الحجة 1434هـ – 02 نونبر 2013م

3 دراهم

افتتاحية

ما قبل هجرة المصطفى ﷺ

بعد أيام يحل عام هجري جديد يذكرنا بهجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة من أجل تبليغ دعوة ربه هناك، بعد أن تنكّر له قومه وحاربوه، ليل نهار، عقلاؤهم وسفهاؤهم على حد سواء.

ما قبل هجرة المصطفى كان فترة زمنية عصيبة، عاشها رسول الله ﷺ بمكة وما حولها، لكنه كان فيها شامخا أبيّا داعيا إلى الله على بصيرة.

أخرج الإمام أحمد في المسند عن جابر رضي الله عنه : «أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتَّبع الحاجَّ في منازلهم في الموسم، وبمجَنَّة، وبعُكاظ، وبمنازلهم بمنىً، يقول:(من يؤويني، من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي وله الجنة؟) فلا يجد أحدا ينصره ويؤويه، حتى إن الرجل يَرْحَل من مُضر، أو من اليمن، إلى ذي رَحِمه فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك. ويمشي بين رحالهم يدعوهم إلى الله عز وجل يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله عز وجل له من يثرب، فيأتيه الرجل فيؤمن به، فيُقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور يثرب إلا فيها رهط من المسلمين، يظهرون الإسلام....»

إن هذا الحديث يُبَيِّن أمرين عظيمين:

● أولهما: أن أعداء الدعوة، من كفار قريش وغيرهم، قد نجحوا كل النجاح في صنع رأي عام ضد هذه الدعوة وصاحبها ﷺ، ليس في مكة وحدها، بل في أماكن عديدة من الجزيرة العربية، حتى صار الناس يشيرون إليه بالأصابع، هروبا منه وتنكرا لدعوته.

● وثانيهما: أن الرسول ﷺ لم يستكن ولم يستسلم، رغم الأذى الذي كان يلحقه، بل ظل حريصا كل الحرص على تبليغ دعوة ربه لإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، دون أن يسأل أجرا أو مكافأةً عن ذلك مِنْ أيِّ أحد من المخلوقات، وإنما كان مرادُه استجابةَ أمر ربِّه ورضاه تعالى عنه، مبَشراً من يُعينه بالجَنَّة لا بشيء مادي آخر.

وبالتأكيد فإن في هذا الحديث المُجمِل لِسلسلة طويلة من الأحداث عدة دروس وعِبَر للسالكين، منها:

1 – أن الداعي إلى الإسلام لا ينبغي أن يحصر ذاته في بروج مشَيّدة مكيَّفَة، ينتظر من يأتيه من السائلين من أجل فتوى، يفتيه فيها من وراء حجاب، دون معرفة لواقع ولا لحيْثيات، بل عليه أن يغشى الناسَ في مساجدهم وأسواقهم وأنديتهم، وحتى في مقاهيهم، ليَعْرِضَ عليهم الإسلام ويدعوهم إلى عدله وصفائه وسماحته، بسلوكه وأفعاله، قبل أقواله وكلامه.

2 – أن سبيلَ الدعوة إلى الله سبيلٌ شاقَّة محفوفة بالمكاره، قد يتعرض سالكها إلى الكثير من الأذى، يتنوع بتنوع طبيعة الزمان والمكان، ولو كان أحد من الدعاة بمنجاة من ذلك لكانَهُ رسولُ الله ﷺ الذي كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، يدعو قومه إلى الحق والهُدَى والنور وهم يشيرون إليه بالأصابع نبْزاً ولمْزاً واستهزاءً، ومع كل ذلك لم يُثْنِه عن مُهمته، بل زاده عزما وإصرارا على تبليغ رسالة ربه.

البقية ص : 2

الدعاة إلى الله تعالى بين الاشتغال بابلاغ الحق وإسكات الباطل

د. عبد العزيز بنديدي ص 2

مفهوم البصيرة في القرآن الكريم

دة. فريدة زمرد 7

– دروس وعبر من هجرة خير البرية

عبد الحميد الرازي 6

– من وحي الهجرة النبوية

ذ. أحمد حسني 9

العرب والمأزق التاريخي للغة العربية

د. الطيب الوزاني 10

الدعاة إلى الله بين الاشتغال بإسماع صوت الحق والانشغال بإسكات أبواق الباطل

د. عبد العزيز بنديدي

أعظم اقتداء برسول الله، اتباع منهاجه الدعوي:

منذ بعث الله تعالى نبيّه محمدا ﷺ برسالة الإسلام الخاتمة وأمره بتبليغها في قوله تعالى : ﴿يا أيها المدثّر قم فأنذر﴾ وهو ﷺ قائم يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة. لم يكن لرسول الله ﷺ شُغل سوى الدعوة إلى الله تعالى هي عمله وهي وظيفته، من أجلها أُرسل وفي سبيلها عاش، إذ بعد انتصارها وانتشارها اختاره ربه إلى جواره. فقد رُوِي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال: إنه قد نُعيت إلى نفسي. وفي رواية البخاري أن ابن عباس سئل عن قوله تعالى : ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فقال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له.

والمسلم مأمور بالاقتداء برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله. قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾(الأحزاب 21). ومن أعظم ما يجب على المسلم الائتساء فيه برسول الله ﷺ وظيفته التي اشتغل بها؛ "الدعوة إلى الله تعالى". قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾(يوسف 108). الآية تؤكد ألاَّ سبيل لمحمد - رسول الله ﷺ- إلا الدعوة إلى الله على بصيرة، وألا سبيل لمن اتَّبع محمدا ﷺ إلا الدعوة إلى الله جل وعلا كذلك.

إن سبيل رسول الله ﷺ وأتباعه سبيل واحدة لا ثاني لها، وهي سبيل مستقيمة لا عِوج فيها ولا تفرق، قال تعالى "وأن هذا صِراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" وهي سبيل واضحة ترك ﷺ عليها أمتَه بيضاء نقية "ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك".

واضح إذن أن أعظم تأسٍّ برسول الله ﷺ مواصلة السير في طريق الدعوة إلى الله تعالى على نفس البصيرة التي سار عليها ﷺ في دعوته. والاقتداء لا يتعلق بالوظيفة من حيث مفهومها ومضمونها فقط -الدعوة إلى الله- بل كذلك من حيث منهجها، ومنهاجها (=على بصيرة). فالداعية إلى الله ليس حرا في أن يدعوَ بالطريقة التي تهواها نفسه ويختارها عقله ويميل إليها مزاجه. قال رسول الله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به". فكما أننا مأمورون بألا نعبد إلا الله وأن لا نعبده إلا بما شرع، فإننا كذلك مأمورون بألا ندعو إلا إلى الله جل جلاله، ولا ندعو إليه إلا بالمنهاج الذي شرع، وهو المنهاج الذي سلكه محمد ﷺ في دعوته التي كانت دعوة توقيفية يقودها الوحي ويسددها خطوة خطوة. وبعد وفاته ﷺ أصبحت الدعوة توفيقية يجتهد المسلمون في سبيل الاقتراب من المنهاج التوقيفي الذي طبقه رسول الله ﷺ تطبيقا عمليا نموذجيا وخلده الوحي للاقتداء والاهتداء به سعيا إلى إصابة السنة في الدعوة إلى الله تعالى.

ومن القضايا المنهاجية التي يجب أن يحرص المسلمون علىَ الاقتداء برسول الله ﷺ فيها طريقة تعامله مع الخصوم المناوئين للدعوة وكيفية الرد على استفزازاتهم القولية والفعلية والحالية. والمتأمل في نصوص الوحي يهتدي إلى مجموعة من القواعد والتوجيهات تضبط كيفية تعامل الداعية إلى الله مع من يؤذونه ويقفون في وجه دعوته.

للداعية إلى الله رب إن تقرب إليه وتوكل عليه كفاه كيد الكائدين:

الداعية إلى الله يستحضر دائما أنه يدعو استجابة لأمر الله ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾. وهو بذلك لا يعتمد على قوته الذاتية بل يستمد قوته وطاقته من الآمر سبحانه وتعالى الذي يكلأه برعايته ويحفظه بعنايته، يجعل له فرقانا يبصره السبيل، ويكفيه شر أعدائه، كل ذلك شريطة الاستمساك بشرعه والثبات على صراطه والاشتغال بدعوة الناس إليه بدل الانشغال برد مناوشات الكفار والمنافقين والرد على ادعاءاتهم وافتراءاتهم وكشف شبهاتهم. والشواهد من القرآن الكريم على ذلك كثيرة.

فهل هناك أفظع وأبشع وأشنع ممن يحارب عبدا يصلي لخالقه ويسير على هدى من ربه ويأمر بالتقوى الناسَ من حوله؟ قال تعالى: ﴿أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى، أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى﴾. إن حق من هذا وصفُه وخُلقُه أن يُتبع ويُعان لا أن يحارَب ويُهان. ورغم ذلك جاء التوجيه الرباني واضحا صريحا لرسول الله ﷺ بألا يُصغي ولا يلتفت لهذا الطاغي وأن يتقرب إلى الله بأنواع الطاعات والقربات وبالثبات على إيمانه ودعوته ﴿كلاَّ لا تطعه واسجد واقترب﴾.

توجيه مماثل ورد في مطلع سورة المزمل. فبعد أن أمر الله تعالى نبيه بتزويد قلبه وربطه بمختلف أنواع الطاقة القلبية من قيام وذكر وترتيل وتبتّل وتوكل على الله، لكي يقوى ﷺ على حمل الدعوة والسير في طريقها الشاق الطويل، أمره أن يصبر على ما يلقاه من قومه من الاتهام والإعراض وأن يُخلي بينهم وبين خالقهم فهو سبحانه بهم كفيل، يتولى حربهم بنفسه سبحانه. وأنى لهذه الخلائق الضعيفة الهيِّنة أن تقوى على مواجهة الجبار القوي المتين.

الباطل ليس سوى حالة غياب الحق:

يؤكد الفيزيائيون ألا وجود لكائن اسمه الظلام، وأن هذا اللفظ اخترع للتعبير عن حالة غياب النور، تماما كاختراع لفظ البرودة للتعبير عن غياب الحرارة فنقول مثلا بأن درجة الحرارة هي عشر درجات تحت الصفر. هذا المنطق ينطبق كذلك على الحق والباطل.

إن مجيء الحق بقوة حجته ووضوح محجته واستقامة منهجه إيذان باضمحلال الباطل وزواله. قال تعالى: ﴿قل جاء الحق، وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾. الحق أصيل والباطل طارئ لا استقرار له في هذا الكون، بل هو مطارَد من قبل الحق عز وجل يقذف عليه بالحق "فيدمغه فإذا هو زاهق" فكيف لشيء يطارده الله تعالى أن يبقى ويستقر؟

وقد يرى بعض الناس -في فترة من الفترات- الباطل منتفشا فيُخَيَّل إليهم أنه غالب، ويبدو لهم الحق منزويا فيظنون أنه مغلوب. والحال أن هذه الغلبة ليست على الحق وإنما على المنتسبين إليه، في ظروف معينة وأحوال محددة يبتليهم الله بغلبة الباطل حينا من الدهر فتنة لهم وابتلاء ليربيهم ربهم ويُنَقِّيهم فيُرَقِّيهم حتى يصيروا أهلا لاستقبال الحق الغالب.

إن الله تعالى تكفل بنفسه بإحقاق الحق وإزهاق الباطل وفق سنة مُطَّردة واضحة مفادها أن الباطل لا يصمد أمام قوة الحق، متى وحيث وُجد الحق زهق الباطل. ﴿وَقُلْ جَاءَ الحقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقا﴾. فما على المومنين إلا الاستمساك **بالحق والصدع به باعتباره حقا لا رد فعل على الباطل، ولا انفعال. فالحق أكبر وأجل من أن يُشتغل به على شكل ردود أفعال، وأهل الحق أحق وأجدر أن يكونوا هم الفاعلين، لهم أهدافهم المحددة وأولوياتهم المرتبة ووسائلهم المعتمدة ... لا يزعزعهم عنها أهل الباطل باستفزازاتهم ومكائدهم..**

التفرغ للرد على الباطل ملهاة للدعاة ودعاية للطغاة:

في علم الاقتصاد والتمويل مفهوم يُطلَق عليه "تكلفة الفرصة البديلة" ويُستخدم في تقييم أداء الأدوات الاستثمارية واتخاذ القرارات المتعلقة بالاستثمارات المالية. ويقصد بتكلفة الفرصة البديلة قيمة نظرية تساوي القيمة المتوقعة للبدائل المتخلى عنها بسبب اختيار بديل معين. بمعنى آخر أن الاشتغال بأي عمل لا ينبغي النظر إليه وتقييمه فقط من زاوية المردودية المترتبة عليه ولكن كذلك من ناحية الفرص الضائعة من جراء الاشتغال بذلك العمل.

والدعاة إلى الله مدعوون للاستفادة من هذا المنطق الاقتصادي لاعتبارات كثيرة، أهمها أن مجالات وجبهات العمل الدعوي كثيرة ومتنوعة بل تكاد تكون لا حدود لها (تربية، تعليم، ثقافة، عمل خيري، سياسة،...)، وفي المقابل فإن الموارد والطاقات المتاحة لهم (أوقات ووسائل دعوية مختلفة) لتغطية تلك المجالات ومواجهة تلك الجبهات محدودة وثمينة. هذه المعادلة غير المتكافئة تستوجب الاختيار بين المجالات والجبهات الدعوية بناء على سلم أولويات محددة ووفق ضوابط معتبرة، والتضحية بالباقي. ورحم الله من قال:

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً .. لأصبح الصخر مثقالاً بدينارِ

لا شك أن التصدي للباطل والنهي عن المنكر من مسؤوليات الدعاة إلى الله تعالى، ولكن يجب ألا يتم ذلك على حساب نشر الحق والأمر بالمعروف باعتبارهما أساس العمل الدعوي، بل إن أنجعَ وسيلة لدحض الباطل ودحر المنكر بناءُ الحق والصدع به كما بينَّا ذلك أعلاه.

أما الرد على الشبهات والأباطيل فإنه كثيرا ما يحوِّل بعض الناس من "نكرات" لا يكاد يعرفها أحد إلى "أسماء" تلوكها الألسُن في المنتديات ويروِّج لها عبر وسائل الإعلام وهذا أقصى ما تتمناه نفوسهم المريضة. إن أفضل طريقة للرد على هؤلاء وإغاظتهم تجاهلهم والاشتغال بالأفيد للأمة والدعوة. ورحم الله القائل:

إذا نطق السفيه فلا تُجبه
فخير من إجابته السكوت
فإن كلَّمته فرَّجت عنه
وإن خلَّيته كمداً يموتُ.

افتتاحية (تتمة)

3 - عدم اليأس والقنوط بدعوى عدم استجابة الناس؛ فهذا رسول الله ﷺ وهو مؤيَّدٌ بالوحي من عند ربه عز وجل بعد البعثة، فضلا عن شهرته، قبلها وبعدها، بالأمانة والصدق والعفَّة والرحمة وغير ذلك مما وصفه الله تعالى من الخُلُق العظيم، ومع ذلك يمكث بين بني قومه الذين عرفوه بهذه الصفات كلها، وهو يدعوهم طوال عشر سنوات، دون أن يستجيب له إلا العدد القليل منهم، إلى أن هيأ الله له أهل يثرب من الأنصار، الذين آووه ونصروه حتى أقام دولة الإسلام.

4- أن للباطل جولة، ثم لا بد أن ينكسر، وقد يصبح أهله دعاة إلى الحق إن كانوا من الأخيار وفقهوا ما هم عليه، لكن بشرط واحد وأساسي وهو صبر الدعاة. ذلك أن كفار قريش ومن والاهم وظفوا كل طاقاتهم الإعلامية لصَدِّ الناس عن الإسلام، وقد أفلحوا في ذلك ردحا من الزمن. لكن ما لبثوا أن دخلوا في دين الله أفواجا، بل إنهم أصبحوا داعين فاتحين ناشرين لدين الله في الأرض، وكل ذلك كان بفضل ثبات رسول الله ﷺ وصبره هو ومن معه من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

هذه بعض القبسات مما يوحي به الحديث السابق الذي يبين أن مرحلة ما قبل الهجرة منارة مهمة ينبغي أن يستنير بها الداعي إلى الله تعالى حتى تكون دعوته إليه على بصيرة.

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة

■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي

الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net

عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)

الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113

الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

لندن عاصمة التمويل الإسلامي

يستعد رئيس الوزراء البريطاني الثلاثاء للإعلان عن تحويل لندن إلى مركز رئيسي للتمويل الإسلامي، وسط الزيادة الكبيرة في استثمار جهات وأفراد من الشرق الأوسط في بريطانيا وحول العالم.

وينتظر أن يعطي كاميرون مؤشراً على عزمه جذب الاستثمارات الإسلامية التي تشير التوقعات إلى أن حجمها سوف يصل العام المقبل إلى 3.1 تريليون جنيه استرليني، وذلك مع توجه الدول النفطية الغنية إلى تمويل مشروعات الإنشاءات والبناء الكبرى.

ومن المنتظر أن يضع كاميرون خططاً لتأسيس مؤشر إسلامي جديد في سوق لندن للأسهم، والذي من شأنه أن يساعد المستثمرين على التعامل مع مبادئ التمويل الإسلامي، مثل منع الاستثمار في الكحوليات والتبغ والقمار.

كذلك سيقدم مقترحات مفصلة إلى بريطانيا لتصبح أول دولة خارج العالم الإسلامي تصدر صكوكاً إسلامية، وفقاً لما ذكرته صحيفة الإندبندنت البريطانية.

ومن المنتظر أن يصدر الإعلان خلال الاجتماع التاسع للمنتدى الاقتصادي الإسلامي العالمي، الذي يبدأ أعماله في لندن الثلاثاء، وهي المرة الأولى التي ينتظم فيها المنتدى خارج دولة إسلامية، وسيحضره 1800 زعيم سياسي واقتصادي ورجل أعمال من 120 دولة.

ومن المتوقع أن يقول كاميرون في إعلانه إن "لندن أصبحت بالفعل أكبر مركز للتمويل الإسلامي خارج العالم الإسلامي، واليوم فإن طموحنا هو أن نمضي قدماً، لأنني لا أريد أن تكون عاصمة التمويل الإسلامي في العالم الغربي فحسب، بل أريد أن تقف جنباً إلى جنب مع دبي بوصفها عاصمة عظيمة للتمويل الإسلامي في العالم أجمع".

البنك الدولي: غزة الأفقر بعد السودان واليمن

حل قطاع غزة بالمرتبة الثالثة عربيا وال 44 عالميا في تقرير للبنك الدولي عن معدلات الفقر، بعد السودان واليمن .

وأوضح التقرير أن نسبة الفقر بين السكان وصلت في غزة إلى 38٪ ما يجعلها الثالثة عربيا والرابعة والأربعون عالميا ، حيث يعاني 13٪ من الفلسطينيين من الفقر المدقع بواقع 8.7٪ في الضفة الغربية و1.21٪ في القطاع. ولم يتعرض التقرير للأسباب التي دفعت للوصول إلى هذا الحد، وارتباط الواقع بالتضييق المفروض على القطاع وحالة الحصار والحروب التي يعاني منها. ويعرّف خط الفقر بأنه الحد الأدنى من مستوى الدخل اللازم لتوفير متطلبات الحياة الأساسية من مأكل، وملبس، ومسكن، ورعاية صحية. وكل من يعجز عن توفير المتطلبات الدنيا للحياة يدخل ضمن تعريف الفقر المدقع.

مصر.. تنحي هيئة محكمة مرشد الإخوان

تنحت يوم الثلاثاء هيئة المحكمة التي تحاكم مرشد جماعة الإخوان المسلمين في مصر محمد بديع ونائبه خيرت الشاطر عن نظر القضية لاستشعارها الحرج، وقررت استمرار حبس المتهمين الـ35 الذين تشملهم هذه القضية. وأعلن رئيس المحكمة محمد فهمي القرموطي في بداية الجلسة "تنحي هيئة المحكمة لاستشعارها الحرج واستمرار حبس المتهمين" الذين لم يتم إحضارهم إلى مقر المحكمة والذين يواجهون اتهامات مختلفة من بينها التحريض على القتل والشروع في القتل واستعمال القوة والتهديد.

ويعطي القانون للقاضي الحق في التنحي عن نظر دعوى ما إذا استشعر الحرج، وهو مبدأ قانوني يلجأ له القاضي في حالات عديدة منها إذا كان له خصومة أو مودة مع أحد المتقاضين، أو إذا كانت القضية جدلية وتشغل الرأي العام وقام ذات القاضي بنظر قضية مماثلة وأصدر حكما فيها، فيمكن له التنحي استشعارا للحرج.

باحث: "إسرائيل" وأمريكا والدولة العميقة يحكمون مصر بقيادة السيسي

اعتبر المدير التنفيذي لمركز الحضارة للدراسات السياسية أن الكيان الصهيوني والولايات المتحدة والدولة العميقة يحكمون مصر بقيادة وزير الدفاع عبد الفتاح السيسي.

وقال مدحت ماهر إن من يحكم مصر الآن ظاهريا وليس صوريا شكليا هو عبد الفتاح السيسي قائد الانقلاب العسكري بمعاونة الدولة العميقة.

وأشار خلال مقال له نُشر على موقع المركز، إلى أن السيسي جمع في تحالف الدولة العميقة السلطات الثلاث: فالتشريع والتنفيذ في يد رئيس معين مؤقتا والسلطة القضائية تعاونه عبر تيار موال للانقلاب وللثورة المضادة على ثورة يناير.

وتابع أنه من المعلوم أن كثيرين يتحكمون في مصر اليوم ومن بعد سقوط مبارك، وأن ممارسة نفوذ هؤلاء تصل أحيانا إلى درجات قاسية من التدخل تفوق الحكم الرسمي، وأبرزهم القوى الخارجية بدءا من الولايات المتحدة والكيان الصهيوني ودول خليجية كالسعودية والإمارات، ودولة الضباط ورجال الأعمال والأجهزة السرية والدولة العميقة.

صحتك

علماء أمريكيون.. الثوم أقوى من المضادات الحيوية

اكتشف علماء أمريكيون في جامعة واشنطن أن الثوم يلعب دوراً أساسياً لمنع الأمراض الفتاكة الناتجة عن التسمم الغذائي. ووجد الباحثون أن مركب الثوم، ويدعى كبريتيد ثنائي الآليل، هو أكثر فعالية من المضادين الحيويين الشائعين في محاربة البكتيريا العطيفة التي توجد عادة في اللحوم النيئة مسببة أكثر مشكلات المعدة المعروفة.

يصاب 36 ألف بريطاني سنوياً بعدوى بكتيريا الطعام وتعد 80٪ من هذه الإصابات قاتلة.

وقال الطبيب الذي قاد هذه الدراسة: إن النتائج مهمة جداً حيث أظهرت لنا قدرة الثوم على محاربة البكتيريا المنتشرة في البيئة وفي طعامنا.

ونصح الطبيب باستعمال الثوم في وصفات طهي الطعام حيث يكون أكثر تأثيراً من تناوله نيئاً.

فوائد الزنجبيل الأخضر الصحية للجسم

■ يساعد عصير الليمون مع الزنجبيل الدافئ على تخفيف آلام الحلق والتهاب اللوزتين إذا استخدم كغرغرة عدة مرات في اليوم ، كما انه يساعد على التخلص من البلغم .

■ فاتح للشهية إذ يحتوي عصير الليمون مع الزنجبيل على فيتامينات ب 2 والريبوفلافين و ب 3 وكالسيوم وبوتاسيوم لهذا فإن تناوله على الإفطار يفتح الشهية طوال اليوم .

■ يساعد عصير الليمون مع الزنجبيل بسبب البوتاسيوم في تنظيم ضربات القلب وهو مفيد لمرضى الكلى والأمعاء ، كما يقوي جدران الأوعية الدموية .

■ يساعد الزنجبيل على التخفيف من اضطرابات الدورة الدموية وينقي الجسم من السموم .

■ يعمل الزنجبيل على تفتيت الحصوات المرارية وحصوات الكلى ، وهو أيضا معقم ومهدئ للجروح البسيطة ويعمل على تخفيف آلام لدغة النحل والدبور والحشرات .

أكثر من 4 آلاف أوروبي من حديثي الإسلام أدوا الحج هذا العام

أدى ما يقرب من 4500 حاج أوروبي، فريضة الحج للمرة الأولى في حياتهم هذا العام، منطلقين في رحلتهم الروحانية نحو الأراضي المقدسة، في واحدة من أركان الإسلام. وقامت بتنظيم رحلات الحج للمسلمين الجدد، منظمة المجتمع الإسلامي، التي نشرت مظلتها لاحتواء المسلمين في أوروبا، سواء أكانوا جدداً أم غير ذلك، حجيجاً أم مقيمين. ومن جانبه أوضح رئيس منظمة المجتمع الإسلامي في أوروبا كمال أرقون، أن منظمته تنظم في كل عام رحلة لأداء شعيرة الحج للمسلمين الجدد، القادمين من كل البقاع الأوروبية إلى مكة المكرمة. ويروي أرقون أن الأحداث التي عصفت بالعالم، وتحديداً 11 سبتمبر شكلت نقطة تحول إيجابية للمنظمة، وذلك بإقبال الكثير من المجتمعات الأوروبية إلى القراءة عن الإسلام، مضيفاً: +في ظل حملات التشويه التي كنا نواجهها بعد تفجير مبنيي التجارة العالمية، والحديث ظلماً بأن الإسلام دين إرهاب... فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم؛.

الانتهاء من إجراءات تأسيس أول حزب إسلامي في أوروبا

كشف أرنولد فان دورن، السياسي السابق في حزب الحرية الهولندي، والذي سبق -قبل أن يُعلن إسلامه- أن روَّج للفيلم المسيء إلى النبي محمد ﷺ، عن انتهائه من إجراءات تأسيس أول حزب إسلامي في أوروبا، لافتًا إلى أن الحزب سيبين عظمة الإسلام للفرد الأوروبي .

وأضاف أنه الحزب الأول بأوروبا القائم على المبادئ الإسلامية، وستكون خدمة الإسلام والمسلمين في جميع الدول الأوروبية من أهم أهدافه، مبينًا أن حزبه سيضم عددًا كبيرًا من الأعضاء المسلمين، بالإضافة إلى عدد من الأعضاء المتعاونين مع المسلمين في الفترة الماضية.

وجدد أرنولد النائب السابق لأكثر الأحزاب عداء للإسلام، وهو الحزب الذي دعم وساهم في صنع فيلم الإساءة للإسلام، اعتذاره لإنتاج ذلك الفيلم.

وأوضح أرنولد أن الأيام المقبلة سوف تحفل بالكثير من الأعمال التي ستساهم في التعريف بالإسلام في أوروبا، مؤكدا أن البداية ستكون بإنتاج أول فيلم يتم عرضه في أوروبا تحت عنوان محمد سيد البشر، وذلك بالتعاون مع الجمعية الدعوية الكندية، لافتا إلى أن هذا الفيلم لن يكون الأخير في سلسلة تعريفه بالإسلام وبسيد البشر، ولكن هناك العديد من الدراسات لإنتاج مجموعة قصصية عن سيرة رسول الله وسوف يتم ترجمتها بخمس لغات ومن ثم نشرها في عدد كبير من الدول الأوروبية.

رسالات الهدى المنهاجي في سورة "الذاريات" 11

قال الله جلت حكمته : ﴿هل اتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذالك قال ربك إنه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد إذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه إلا جعلته كالرميم وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين﴾

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

الرسالة الخامسة : في أن وجود المؤمنين - ولو قل عددهم - في بيئة ما، يرفع عنها عذاب الله بإذن الله، ما داموا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقد تواترت النصوص بذلك. كما تضافرت الآيات في أنه ما من عقاب ينزل بالطغاة إلا ويكون أهل الإيمان الخُلَّص بمنجاة منه، رحمة من الله وفضلا. وهو أمر مطَّرد مشهور، منذ حَدَث الطوفان في عهد نوح، وإغراق الكفرة من قومه إلا أهل السفينة. وقد قال تعالى في حق هود عليه السلام ومن آمن به : ﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطع دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مومنين﴾(الأعراف : 72)، وكذلك الأمر جرى مع مؤمني بني إسرائيل عند إغراق فرعون وجنوده. ثم قال عن أصحاب السبت من بني إسرائيل : ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بيس بما كانوا يفسقون﴾(الأعراف : 165).

وقد نص القرآن في غير ما موطن على أنها قاعدة مطردة في المؤمنين بإطلاق، قال تعالى : ﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين﴾(يونس : 103)، وقال سبحانه : ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾(هود : 116- 117). ولا ينقض ذلك حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول : "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" -وحلق بإصبعه : الإبهام والتي تليها- قالت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : "نعم إذا كثر الخبث"(1)، لأن الهلاك هنا إنما يقتصر على الصلاح السلبي، وهو الذي لا يأمر صاحبه بمعروف ولا ينهى عن منكر، فهو صالح في نفسه وليس بمصلح لغيره. وأما الصلاح الإيجابي فصاحبه آمن بإذن الله، وهو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدل عليه ما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم"(2).

وآية سورة هود - قبل ذلك - نص في إطراد نجاة أهل الإصلاح مطلقا، وهي قاضية على كل ما خالفها، تقيده وتخصصه. أعني قوله تعالى : ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾(هود : 117).

وقد قال الله تعالى في حق كفار قريش قبل الفتح : ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾(الفتح : 25).

فمنع الله - سبحانه - العذاب عن كفار قريش، بسبب أن بينهم مؤمنين مستضعفين مستخفين بإيمانهم. قال الإمام الطبري رحمه الله :(وقوله : ﴿لو تزيلوا﴾ يقول : لو تميز الذين في مشركي مكة، من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات، الذين لم تعلموهم منهم، ففارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم، ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ يقول : لقتلنا من بقي فيها بالسيف، أو لأهلكناهم ببعض ما يؤلمهم من عذابنا العاجل)(3)، والله جل جلاله قدير على تمييزهم عند العقاب لو شاء، ولكنه عَلِم سبحانه ما سَبَقَ في قَدره، من أن كثيراً من الكفار هنالك سوف يسلمون بعد حين، فأرجأهم ليؤمنوا بالله ورسوله ﷺ، ووهب لهم النجاة برحمته. وقد أهلك طواغيت الكفر منهم في غزوة بدر وغيرها. والآية - على كل حال - شاهد قوي على أن للمؤمن حرمة عظيمة عند الله جل جلاله، يحفظه من عقاب الدنيا وعذاب الآخرة.

وأما تعرض الدعاة للتعذيب والتقتيل، في سياق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه لا يعتبر عذابا ولا عقابا، كلا وحاشا. وإنما هو تكريم لهم من الرحمن وتشريف، ورفع لدرجاتهم عند الله جل جلاله. وإنما المنفي عنهم أن يعمهم الله بعذاب منه، مما يسلطه على الكفار من الهلاك العام، في الدنيا قبل الآخرة، من مثل ما وقع لعاد وثمود وغيرهما. فأما هذا فقد كتب الله لهم النجاة منه. كما قررناه بشواهد.

الرسالة السادسة : في أن خلو مدينة، أو دولة، من الدعاة إلى الخير - مهما قلوا- الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر حقيقة، على مقتضى مقام الإخلاص، والتجرد الكامل لله، وعلى ميزان قواعد الشرع وحكَمه، يعني أنها مدينة أو دولة معرضة لعذاب الله وانتقامه الشديد، نسأله تعالى العفو والعافية. ونصوص الرسالة السابقة كلها دالة على هذا. ويكفي أن نعيد التدبر لقول النبي ﷺ فيما ذكرناه : "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم"(4).

الرسالة السابعة : في أن جميع ما نراه اليوم مما يسمونه ب"الكوارث الطبيعية"، إنما هو استمرار لسنة الله الجارية، في الانتقام من أهل الفسق والفجور، والظلم والطغيان، المتمردين على شريعة الله. وأنه لا قوة مدمرة من ذلك، إلا ووراءها طائفة من ملائكة الرحمن، تسلط العذاب على من شاء الله من أعدائه، سواء كانت تلك القوة إعصارا، أو زلزالا، أو خسفا، أو بركانا متفجرا، أو بحرا غاضبا، أو عاصفة مدمرة، أو صاعقة قاتلة، أو حريقا زاحفا مستعصيا عن الإطفاء... إلى غير ذلك مما نشاهده كل سنة من حوادث العالم.

ذلك أن سنة العقاب الإلهي لم تنقطع قط، فمنذ أن نزلت بقوم نوح في التاريخ القديم، وهي مستمرة في الأرض، تقع على أهلها في صور مختلفة، وأماكن مختلفة، وأنها ستبقى ثابتة حتى تقوم بها الساعة على شرار الخلق. ففي كل حين تصيب طرفا من الناس، في رقعة من الأرض، لتجدد النذارة بيوم الدين، وأنه حق يقين، وتطرق بقوة على قلوب الفاسقين والغافلين، أن : فروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين. قال تعالى بما يدل على الثبات والاستمرار : ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾(الرعد : 31). وكفى بهذا دليلا على ما أصلناه.

الرسالة الثامنة : في أن الأدب عند مشاهدة شيء من الكوارث والنوائب ولو كان يسيرا، أن يجأر المؤمن إلى ربه بالدعاء والاستغفار. وقد كان رسول الله ﷺ إذا هبت العاصفة كَرِبَ لذلك وارْبَدَّ وجهُه، فلا يستبشر حتى تمطر أو تفتر. فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : "كانت الريح الشديدة إذا هبت عُرف ذلك في وجه النبي ﷺ"(5)، وأوضح منه حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت : "كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرَّ به، وذهب عنه ذلك. فقالت : يا رسول الله أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفْتُ في وجهك الكراهية؟ فقال : "يا عائشة ما يُؤَمِّنُني أن يكون فيه عذاب؟ قد عُذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا : ﴿هذا عارض ممطرنا﴾(الأحقاف : 24)"(6).

كما أنه ﷺ كان كلما مر في سفره بآثار الأمم الهالكة من عذاب الله وَجِلَ قلبه لذلك واهتز رهبا، ووعظ أصحابه مذكرا إياهم بأيام الله، والتخويف من عذابه الأليم، حاثا إياهم على التفكر في مصارع القوم، بما يستوجب البكاء والاعتبار. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : "لما مر النبي ﷺ بالحِجْر(ديار ثمود، وذلك في غزوة تبوك)، قال ﷺ : "لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم" ثم قَنَّعَ رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي"(7).

ورغم أنه ﷺ أسرع العبور في وادي المعذبين -كما هي عادته ﷺ كلما مر بآثار القوم المهلكين- إلا أنه مع ذلك اغتنم فرصة العبور، فألقى في أصحابه موعظة ميدانية بليغة، وهم كذلك على رحالهم سائرين، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (لما مر رسول الله ﷺ بالحِجْر قال : "لا تسألوا الآيات وقد سألها قوم صالح فكانت (يعني الناقة) تَرِد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم، فعقروها فكانت تشرب ماءهم يوما، ويشربون لبنها يوما، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهمد الله عزوجل من تحت أديم السماء منهم، إلا رجلا واحدا، كان في حرم الله عز وجل". قيل : مَن هو يا رسول الله؟ قال : "هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه"(8).

1- متفق عليه.

2- رواه أحمد والترمذي، والبيهقي في الشعب. وحسنه الألباني في تحقيق سنن الترمذي، وفي صحيح الجامع، وصحيح الترغيب.

3- من تفسير الطبري للآية.

4- رواه أحمد والترمذي، والبيهقي في الشعب. وحسنه الألباني في تحقيق سنن الترمذي، وفي صحيح الجامع، وصحيح الترغيب.

5- رواه البخاري.

6- رواه مسلم. وتمام الآية قوله تعالى : ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم﴾(الأحقاف : 24).

7- متفق عليه.

8- رواه أحمد، والحاكم، والطبراني في الأوسط، كما رواه الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا﴾(الأعراف : 73). وقد أورده ابن كثير في البداية والنهاية برواية أحمد، وقال :)(وهذا الحديث على شرط مسلم، وليس هو في شيء من الكتب الستة والله أعلم)، البداية والنهاية(137/1). ط مكتبة المعارف، بيروت. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند "حديث قوي، وهذا إسناد على شرط مسلم".

مع سنة رسول الله ﷺ

مفاتيح إصلاح المجتمع ومجالاته : 8

المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»(1).

د. لخضر بوعلي

قوله ﷺ :"... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"

ورجل تصدق بصدقة : الصدقة : ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة، سواء كان فرضاً كالزكاة المفروضة، أو تطوعاً، ثم غلب استعمال الصدقة على صدقة التطوع.

وإن من نافلة القول أن الصدقة فرع من شجرة المحبة التي غرسها الإسلام في قلوب أتباعه، محبة الناس ومحبة الخير لهم .

وهي تعبيرٌ صحيحٌ عن الرغبة في انتشار الخير وإدراكٌ جيِّدٌ لحدود الحق الذي يملي على صاحبه إعطاء الفضل منه، لقوله ﷺ :" من كان له فضل زاد فليعُدْ به على من لا زاد له ومن له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له...." قال راوي الحديث وما زال رسول الله ﷺ يعدد الفضل حتى علمنا أنه لا حق لأحد في فضل عنده.

والصدقة في سبيل الله تعالى تجسيد صحيح لوحدة الإنسانية وكسر الأنانية التي تؤدي إلى احتكار الخير مهما اشتدت حاجة الناس إليه ومهما كانت النتائج.

والصدقة اقتطاع المؤمن لجزء من ماله يدفعه إلى غيره من المستحقين من غير مقابل دنيوي ... ولما كان حب المال مركوزاً في النفوس فإن إعطاءه على هذا النحو فيه مشقة بالغة لا يُعين عليها إلا اليقين فيما عند الله الكريم من الخُلف في الدنيا والثواب في الآخرة فكانت بذلك دليلاً على صدق العبد وإيمانه وهو جزء من معنى قوله ﷺ : "... والصدقة برهان..."(2)

فضل الصدقة عموما

الصدقات في إطلاقها أعمال بر وخير محببة إلى الخالق ومحببة إلى المخلوق وقد ورد في فضلها ما لا يحصى من النصوص منها:

● قوله ﷺ : " ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، فينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، فينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة"(3).

● أنها تمحو الخطيئة، وتذهب نارها كما في قوله :" والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار "(4) .

● أن المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة كما في حديث عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله يقول: " كل امرئ في ظل صدقته، حتى يقضى بين الناس ".

● أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء كما في وصية يحيى عليه السلام لبني إسرائيل: "وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم "(5).

● أن المنفق يدعو له الملك كل يوم بخلاف الممسك وفي ذلك يقول النبي ﷺ : " ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً "(6).

● أنه لا يبقى لصاحب المال من ماله إلا ما تصدق به كما في قوله تعالى: وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ" (البقرة:272). ولما سأل النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها عن الشاة التي ذبحوها ما بقى منها: قالت: ما بقى منها إلا كتفها. قال ﷺ : " بقي كلها غير كتفها"(7).

● أن الله يضاعف للمتصدق أجره كما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(الحديد:18).

● وقوله سبحانه: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(البقرة:245).

● أن صاحبها يدعى من باب خاص من أبواب الجنة يقال له باب الصدقة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي في الجنة يا عبد الله، هذا خير: فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان " قال أبو بكر: يا رسول الله، ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها: قال: " نعم وأرجو أن تكون منهم "(8).

● أنَّ العبد موف بالعهد الذي بينه وبين الله ومتممٌ للصفقة التي عقدها معه متى ما بذل نفسه وماله في سبيل الله يشير إلى ذلك قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُومِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقتَلُونَ وَعداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى التَّوراَةِ وَالانجِيلِ وَالْقُرءَانِ وَمَنْ أَوفَى بِعَهدِهِ مِنَ اللهِ فَاستَبشِرُواْ بِبَيعِكُمُ الَّذِى بَايَعتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوزُ العَظِيمُ﴾(التوبة:111).

والمتأمل للنصوص التي جاءت آمرة بالصدقة مرغبة فيها يدرك ما للصدقة من الفضل وأنها بحق تتميّز عن غيرها من الأعمال حتى قال عمر رضي الله عنه: " ذكر لي أن الأعمال تباهي، فتقول الصدقة: أنا أفضلكم "(9). ولكنها مع ذلك تتفاوت بتفاوت المستفيد منها والزمان والأحوال التي تظرفها:

1 - الصدقة من كرائم الأموال:

إن المؤمن يتصدق بما فضل عليه من خير : " ويسألونك ما ذا ينفقون قل العفو﴾(القرة 219) ولكن لا يجوز له أن يقصد أسوأ ما يملك ليتصدق به ويجعله لله تعالى : ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ...﴾ لأن ذلك من شيم المشركين الذين : ﴿يجعلون لله ما يكرهون﴾(النحل : 62) ولكنه إن اختار أجود ما يملك وأحبه إليه فتصدق به لله تعالى فذلك من دلائل البر لقوله تعالى : " ... ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب..."(البقرة 175) وطريق إلى حقيقة البر لقوله تعالى : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾(آل عمران 92).

2 - الزمان الأفضل للصدقة :

إن الأعمال التي تصدر عن الإنسان تتفاوت قيمتها عند الله تعالى بتفاوت عظمة الزمان الذي تقع فيه من ذلك:

● **الصدقة في رمضان:** الصدقة في رمضان أفضل منها في غيره من الأوقات قال ابن عباس رضي الله عنه: " كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة"(10).

● **الصدقة في العشر الأوائل من ذي الحجة:** وذلك لقول رسول الله ﷺ: "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام " يعني أيام العشر. قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: "ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء"(11) وقد علمت أن الصدقة من أفضل الأعمال التي يُتقرب بها إلى الله.

3 - الظروف التي تعطى فيها الصدقة: سواء كانت الظروف خاصة بالمتصدق أو المتصدق عليه أو كانت ظروفاً عامة:

● الذي يعطي الصدقة وهو فقير محتاج إليها ليس كالذي يعطيها وهي فاضلة عن حوائجه الأصلية : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رسول الله ﷺ رجل فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم؟ فقال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ألا وقد كان لفلان"(12).

● الصدقة في الأوقات التي تشتد فيها الأزمات أو المجاعة أو غيرها ليست كالصدقة التي تعطى في أيام الرخاء والخصب فاليوم الذي يكون الناس في شدة وحاجة ماسة وفقر بيّن من الأوقات الفاضلة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَةٍ. أَوْ اطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾(البلد: 11-14).

● مراتب الصدقات في الفضل

الأصل في الصدقة، باعتبارها عملاً من أعمال البر والإحسان، أن تخلف آثاراً إيجابية في المتصدق والمتصدق عليه . ولكن المتصدق ومن خلال ما يدفعه إلى التصدق أو من خلال التصرفات التي تصاحبه ، يلغي تلك الآثار الإيجابية أو يقلل منها . وقد وردت في الباب نصوص كثيرة من الوحي..ومن تلك النصوص:

● قوله تعالى : ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾(التوبة 54)

● قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى...﴾(البقرة : 264).

● قوله تعالى : ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾(النساء 38).

فإذا كان النص الأول يلغي أثر الصدقة في المتصدق فإن النص الثاني يلغيه في المتصدق عليه.

وهناك نصوص أخرى كثيرة تتحدث عن فوائد الصدقة في المتصدق والمتصدق عليه وهي فوائد أيضاً متفاوتة منها صدقة السر التي هي محور هذا الحديث.

ومعلوم أن الصدقة فاضلة سراً وعلانية(13)، يقول تعالى : ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾(البقرة : 271).

والملاحظ أن إخفاءها الذي حاز الأخيرية في الآية الكريمة ارتبط بإيتائها الفقراء والحديث أشار إلى درجة الإخفاء قال ﷺ :"فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه" والمراد بذلك المبالغة في إخفاء الصدقة بحيث إن شماله رغم قربها من يمينه لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين، لشدة الإخفاء.

وبهذه الطريقة حافظ على أثر صدقته في طلب الرضوان والأجر من الله تعالى وحافظ على أثرها في نفع الفقير الذي يأخذها، فلا هو طلب مع رضوان الله شيئاً من كلام الناس وثنائهم ولا هو انتقص من كرامة الفقير بفضحه أمام

تتمة : ص 7

دروس وعبر من هجرة خير البشر

عبد الحميد الرازي

الخطبة الأولى

...عباد الله:

كلما حل العام الهجري الجديد،إلا واخترقت بنا الذكريات حواجزَ الزمانِ لنقفَ على مشارفِ مكة، وهي تشهدُ هجرةَ النبيِ ﷺ مع أصحابه إلى المدينة، تلك الهجرة التي غيرتْ مسارَ التاريخ، وفاجأت العالم بأحداثها ونتائجها المُبهرة، ونستحضر ذلكَ الخطاب المؤلم الذي يحز في النفس حين قال الحبيب المصطفى ﷺ مخاطبا مكة المكرمة أعزها الله: " والله إنك لأحب البقاع إلي ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت ". لقدْ كانت الهجرة بداية موفقة لقيام دولةِ الإسلامِ في المدينة، تلك الدولة التي لمْ تقفْ عند حدودٍ سياسيةٍ يصنعها المُحتلُ الأجنبي، ولكنَّها انتشرت وتوسعت، حتى أنجبت دولة الإسلام، التي أطلت على الدنيا بنورها الفياض، وأزهقت الظلامَ الدامس الذي كفر بذرة الخير وغطاها، فقدمتْ للبلاد والعباد أسوة نادرة في بناء الدول وصناعة الحضارة، حتى توارت وتقهقرت كل النماذجِ الباطلة.

عباد الله: إننا اليومَ - وأُمتنا تُعاني من التمزق والضعف والتنافر بل والتقاتل والتناحر والكيد - في حاجة ماسة إلى قراءةِ تاريخنا المجيد، لنأخذَ الدروسَ والعبَر، ونَقبس من نوره الساطع ما نصلح به أحوالنا، لأنه لن يصلحَ آخر هذه الأمةِ إلاَ بما صلحَ به أولُها.

عباد الله: الهجرةُ النبوية ليست رحلة سياحة ولا سفرا استكشافًيا لبلد آخر جديد، ولكنها خيار وحيد، بعد أنْ أصبح الناس غير الناس، وضاقتْ برسول الله [وبأتباعه أرضُ مكةَ، وأصبح طواف المؤمنين وصلاتهم عند البيت العتيق جريمةً يعاقب عليها قانون الغاب السائد آنذاك، وأصبح قارئ القُرآن رجعيا وإرهابيا ومتطرفًا، وأصبح المسلمون صابئين في نظر مشركي مكة، نزلَ الوحي من السماء مخاطبا رسول الله ومُؤْذنا له بالصدعِ بالدعوة المباركة والجهرِ بها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾(المدثر:1-4).

ويتوالى الوحي من رب العزة والجلال: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾(الحجر:94)، بلغ رسالة ربك ولا تلتفت للأعداء، لا يرعبنك أبو جهلٍ مهما طغى وتجبر، ولا حتى عمك أبا لهبٍ مهما قسا وتكبر، فهم ليسوا إلا بلاء يمتحن الله به عباده الصالحين.

فاستجاب الحبيب ﷺ، فما تركَ شعبًا إلا سلكَه ولا جبلاً إلا صعدَه، ولا وادًيا إلا سار فيه وهو يردد: " يا أيُّها الناسُ، قُولوا: لا إله إلا اللهُ تُفلحوا"، صدع بها ثلاثةَ عشرَ عامًا في كلِّ ملتقيات العرب وتجمعاتهم ومنتدياتهم، لكن عباد الأصنام حاربوهُ بكلِّ قوة ووحشية، بل حاربه كل من ظن أن الإسلام فيه خطر على مصالحه، وقاوموا بشراسة لتشويه صورة هذا الرجل الذي كان يعرف فيهم بالصادق الأمين؛

قاومه رؤساءُ العشائرِ دفاعا عن سُلطانهم، وحاربه الانتهازيون دفاعًا عن مكاسبهم بكلِّ وحشيةٍ وقسوة، وواجهه الكهنةُ والمشعوذون خوفا من انفضاض الناس من حولهم، حاربه دعاة القومية والمتعصّبونَ لقومياتهم وقبائلهم، دفاعاً عن تقاليدهمُ البالية، وناوأه عُبَّادُ الشهوة والهوى، خوفا على مجونهم وعربدتهم.

كل هؤلاء وغيرهم من عباد العجل عندما استيقنت قلوبهم بخطورة تعاليم الدين الجديد على امتيازاتهم ومطامعهم، عقدوا العزم على مقاومة ذلكَ الناصح الأمين، فأوذي عليه الصلاة والسلامُ واضطُهد، وعُذِّب، واتُّهم بالجنون والسحر والكهانة، ورُمي بالكذبِ وقولِ الزور، فتوحدوا جميعًا لحربِ هذا الصادق الأمين الذي بعثه الله تعالى ليخرج العباد من الظلمات إلى النور، ولقد صورهم الحق سبحانه ووصف جنونهم وكيدهم فقال عز من قائل: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ﴾(ص:6،7)

ولما بلغَ الأذى مبلغه من رسول الله وأصحابه، وظهرت قسوة القلوبِ وسفهُ الرجال، أذنَ اللهُ تعالى بالهجرةِ إلى المدينة المنورة، فخرجَ المؤمنون فرارًا بدينهم تاركينَ أرضا فيها وُلدوا وفيها نشؤوا، تاركين المال والأهل والولد، وضحوا بذلك كله في سبيل الإيمان.

عباد الله:

إنَّ في الهجرة دروسًا لا تُنسى، ومآثرَ لا تُطوى، فما أحوجَنا إلى تدارس ذلك الميراث!!

أيها المؤمنون: الهجرة غيرت مجرى التاريخ، الهجرة حدث يحمل في طياته معاني الشجاعة والتضحية والإباء، والصبر والنصر والفداء، والتوكل والقوة والإخاء، والاعتزاز بالله وحده مهما بلغ كيد الأعداء، إنه حدث الهجرة النبوية الذي جعله الله سبحانه طريقًا للنصر والعزة، ورفع راية الإسلام، وتشييد دولته، وإقامة صرح حضارته، فما كان لنور الإسلام أن يشع في جميع الأرجاء لو بقي حبيسًا في مهده.

حدث الهجرة العظيم فيه من الآيات والآثار والدروس والعبر البالغة، ما لو استحضرته أمة الإسلام اليوم وعملت على ضوئه وهي تعيش على مفترق الطرق، لتحقق لها عزها وقوتها ومكانتها وهيبتها، ولعلمت علم اليقين أنه لا حل لمشكلاتها ولا صلاح لأحوالها إلا بالتمسك بإسلامها، والتزامها بإيمانها، فوالله ما قامت الدنيا إلا بقيام الدين، ولا نال المسلمون العزة والكرامة والنصر والتمكين إلا لما خضعوا لرب العالمين، وهيهات أن يحل أمن ورخاء وسلام إلا باتباع نهج الأنبياء والمرسلين.

من دروس الهجرة الشريفة أنَّ الغايةَ الكُبرى من الوجود الإنساني هو عمارةُ الأرض بالإيمان، وإقامةُ شرع الله يقولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾(العنكبوت:56)

ولذلك فمتى تعذَّرَ تحقيقُ هذه الغاية فوقَ أرضٍ ما فلا بُدَّ من البحث عن غيرها مهما كانت التضحيات، بحثاً عن أرضٍ صالحة لنشرِ الإسلام، وعرضِ الإيمان الصافي على الناسِ من غير إجبار ولا إكراه.

ولذلك لما رفض أهل مكة الإسلام والإيمانَ، وآثروا الكفرَ والتقليد، أصبحتْ مكةُ بلدَ كفرٍ ودارَ حرب، وحُرِّمَ البقاءُ فيها، وأصبحتْ مجاورتُها مع القدرة على مُغادرتها واحدةً من كبائر الذنوب، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:97).

عباد الله:

لقد أكدت الهجرة النبوية أن عزة الأمة تكمن في تحقيق الإيمان بالله تعالى، وتوحيد الصف عليه، وأن أي تفريط في أمر الإيمان أو تقصير في الأخوة الإيمانية مآله ضعف الأفراد وتفكك المجتمع وهزيمة الأمة، وإن المتأمل في هزائم الأمم وانتكاسات الشعوب عبر التاريخ، يجد أن مردّ ذلك إلى التفريط في أمر الإيمان، ذلكم أن قوة الإيمان تفعل الأعاجيب وتجعل المؤمن صادقًا في ثقته بالله والاطمئنان إليه والاتكال عليه، لا سيما في الشدائد، لنتأمل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ينظر إلى مواضع أقدام المشركين في باب الغار فيقول: يا رسول الله: لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لأبصرنا، فيجيبه ﷺ جواب الواثق بنصر الله: "يا أبا بكر: ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟!".

الله أكبر، ما أعظم لطف الله بعباده ونصره لأوليائه، وفي هذا درس بليغ لدعاة الحق وأهل الإصلاح في الأمة أنه مهما طغت الظلمة فوعد الله آت لا محالة: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءهُمْ نَصْرُنَا﴾(يوسف:110).

عباد الله:

علمتنا الهجرة النبوية أن الإيمان رابطة يتضاءل أمامها الانتماء القومي، والتمايز القبلي، والعلاقات الحزبية.

علمتنا الهجرة أنَّ هذا الدينِ لا يَقومُ إلا بالتضحيةِ والبذلِ والعطاء، لأن الإسلام دينٌ لا يُعلِّقُ كبيرَ أمل على الكُسالى والخانعين، ولا يمنحُ شرفَ حمله ونُصرته للمتراجعينَ والمتثاقلين، إنَّه الدين الذي لا يقبل البيع ولا الشراء، إنَّما هو جهدٌ، وبذلٌ، وتضحيةٌ.

إن الناظرَ في تاريخِ الأمة المجيد؛ يجد أرواحا قد أزهقت ودماء قد سالت وأطرافا قد بترت وأموالا قد أنفقت ونفوسا قد بذلت...

قال تعالى: ﴿ من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ (الأحزاب :23)

ولله در القائل:

وهدِّم فراشكَ رمزَ الخُمول
وقمْ للجهادِ ولا تقعد
وقم للنضالِ وخوض القتال
وشمِّر عن الساقِ والساعد

عباد الله:

لقد باع الشهداء والمجاهدون أنفسهم وأموالهم إلى ربهم، فماذا قدَّمنا نحن لديننا وأُمتنا المُمزقة؟! ما مقدارُ الهمِّ الذي نحملهُ في قلوبِنا تجاه قضايا أمتنا وديننا؟!

باركَ اللهُ لي ولكم بالقرآنِ العظيم، ونفعني وإيَّاكم بالذكر الحكيم، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم إنَّهُ هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية:

....عباد الله:

إن شهر الله المحرم، من أعظم شهور الله جل وعلا، وهو من أشهر الله الحرم، فيه نصرَ الله موسى وقومه على فرعون وملئه، ومن فضائله أن الأعمال الصالحة فيه لها فضل عظيم، لا سيما الصيام، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل".

وأفضل أيام هذا الشهر يا عباد الله يوم عاشوراء، في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم: "ما هذا اليوم الذي تصومونه؟!"، قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا فنحن نصومه، فقال: "نحن أحق بموسى منهم"، فصامه ﷺ وأمر بصيامه.

وفي صحيح مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: "أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله"

فيا له من فضل عظيم لا يفوِّته إلا محروم.

وقد عزم على أن يصوم يومًا قبله مخالفة لأهل الكتاب فقال ﷺ: "لئن بقيت إلى قابل لأصومنَّ التاسع" خرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مفهوم البصيرة

دة. فريدة زمرد

البصيرة من البصر، ومادة (ب ص ر) في اللغة مدارها على معنى: العلم بالشيء، يقال فلان بصير بالشيء: أي عليم به، وقيل البصيرة: البرهان، وهو من الوضوح.

وفي القرآن الكريم ورد من مادة (ب ص ر) الكثير من المشتقات، منها الفعل (بَصُرَ) و(أبصر) و(بصَّر)، ومنها الاسم (البصر) و(الأبصار) و(البصيرة) و(البصائر) و(التبصرة)، ومنها اسم الفاعل (مبصر) و(مستبصر)، و(بصير)/والحق أننا لا نستطيع تبين مفهوم البصيرة إلا ببيان باقي الألفاظ والمشتقات، نظرا لما يوجد بينها من تعالق مفهومي فضلا عن التعالق الاشتقاقي، وأول ما يلاحظ في استعمال القرآن الكريم للفظ البصر وما يتفرع عنه أنه يستعمله بمعنييه الحسي والعقلي، فالبصر والإبصار قد يدل على الحاسة المعروفة وهنا يستعمل لفظ البصر والأبصار كما قد يدل على الإدراك بالقلب أو العقل لما يبصره الإنسان بعينه أو يحسه بفؤاده، وحين يكون الأمر كذلك يستعمل القرآن الكريم لفظ البصيرة والبصائر. لكن هذه القاعدة الاستعمالية كما أشرنا ليست مطردة، فقد جاءت الآيات صريحة في استعمال البصر والأبصار لغير الحاسة المرتبطة بالجارحة، كما في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(الجاثية : 22)، فالبصر هنا ليس حسيا والغشاوة ليست حسية، وهو ما صرحت به الآية الكريمة بوضوح أكثر: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(الحج : 44).

وقد أشار الراغب في مفرداته إلى هذا المعنى حين قال: (البصر يقال للجارحة الناظرة نحو: (كلمح البصر وإذ زاغت الأبصار) وللقوة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر).

وعلى العموم فإن لفظ "البصيرة" وجمعه "بصائر" لم يستعمل في القرآن الكريم للدلالة على الرؤية الحسية، وإنما دل على رؤية القلب، وعلى إدراك بواطن الأمور وليس مجرد النظر إلى ظواهرها، بل إنه دل على مستويات متعددة من هذا الإدراك ترجمها المفسرون باليقين والحجة والبرهان والعلم والهدى والحق حين وقفوا عند قوله عز وجل ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(يوسف : 108)، ومما يؤكد صحة هذه المعاني الإشارة إلى الوحي بلفظ بصائر في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف : 203)، وهذا يعني أن الوحي هو مصدر البصائر والجامع لها، وإنما كان ذلك كذلك؛ لأن الوحي في حقيقته حجة وبيان، وهي من المعاني الأساسية للفظ البصيرة في القرآن الكريم.

إن بلوغ الإنسان مرتبة البصيرة لا يكون إلا بأسباب تعينه على ذلك وهي مجملة في أمرين: الوحي والكون، فالوحي كما أشرنا مصدر البصائر: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(الجاثية : 19).

أما الكون فقد جعل وسيلة لاعتبار أولي الأبصار تلازم الوسيلة الأولى وتؤازرها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ﴾(النور : 42)، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾(السجدة : 27). ويدخل ضمن هذا العامل المرتبط بالكون: النظر في السنن الإلهية التي تحكم الخلق كسنن النصر والهزيمة التي تشير إليها الآية الكريمة وهي تحث أولي الأبصار للاعتبار بها: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ تَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ﴾(ال عمران : 13).

لكن الإنسان متى ابتعد عن الوحي مصدر الهداية ومنبع الإيمان وأعرض عن آيات الكون وسننه، تعطلت بصيرته، وإن اشتغل بصره: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾(الاعراف : 198).

مواقف وأحوال

هكذا تاب بِشْر.. فمتى نتوب؟

يؤلمني جدا ما أجده في بعض الطرقات من أوراق ملقاة على الأرض قد كتب فيها اسم الله عز وجل، تطؤها الأقدام، وتعبث بها الأرجل، ويؤلمني أكثر أن أجد أوراقا أو جزء أوراق من المصحف الشريف في الشارع العام، تنقلها الريح من مكان إلى مكان، وأسوأ من ذلك أن تجد المصحف الشريف ممزقا بصورة تدمع لها العين وينفطر لها القلب في بعض دور القرآن الكريم، ومراكز تحفيظه، التي يفترض فيها أن تكون أول من يعتني به، وأما في مدارس التعليم العمومي فقد وُجدت غير ما مرة في بيوت الخلاء يستجمر بها التلاميذ!!!

لقد تعلمنا من شيوخنا ونحن صبية صغار أن لا نضع اللوح الذي نحفظ فيه القرآن الكريم على الأرض، وتعلمنا منهم ألا نفرغ الماء الذي نمحو به الألواح في مكان تطؤه الأقدام، أو تمر منه الدواب، كنا نضع ماء المحو في البئر أو في الأبنية العالية جدا أو في أحواض الأشجار، ووجدنا بعدُ أن هذا من عمل سلفنا الصالح رضي الله عنهم، لقد سبق لي أن وقفت على شيء من هذا في المعيار عن ابن وهب وغيره.

قال القرطبي: قال سعيد بن أبي سكينة: بلغني أن علي بن أبي طالب ﷺ نظر إلى رجل يكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" فقال له: جودها فإن رجلا جودها فغفر له" قال سعيد: وبلغني أن رجلا نظر إلى قرطاس فيه" بسم الله الرحمن الرحيم" فقبله ووضعه على عينيه فغفر له(1).

ويحسن في هذا المقام أن أذكر بموقف لبشر الحافي رحمه الله كان سبب توبته، ذلك أنه أصاب في الطريق ورقة مكتوبا فيها اسم الله عز وجل قد وطئتها الأقدام، فأخذها واشترى بدراهم كانت معه "غالية" ñأي قارورة طيب- فطيب بها الورقة وجعلها في شق حائط، فرأى في النوم كأن قائلا يقول له: يا بشر، طيبت اسمي لأطيبنك في الدنيا والآخرة، فلما انتبه من نومه تاب(2)!! فبشر رحمه الله اهتم بالأمر غاية الاهتمام، فاشترى الطيب بما كان معه من مال، ونظف الورقة، وطيبها، ثم وضعها بحيث لا تنالها الأرجل، ولا تطؤها الأقدام، فأحسن الله جزاءه، ووفقه للتوبة والإنابة.

1- الجامع لأحكام القرآن 91/1

2- الرسالة القشيرية 48/1

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

الحديث (تتمة)

الناس .

في رواية البخاري قال ﷺ : "... فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه..." أما في رواية لمسلم فقال ﷺ : "...فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ..." ورواية البخاري تنبه إلى طبيعة سلوك المسلمين وأنهم يعطون ويأخذون باليمين، فهذا المتصدق أعطى بيمينه وما انتبهت لذلك شماله فما بالك بغيره؟ وأما رواية مسلم فهي، عندي، أبلغ في التعبير عن الإخفاء لأنه لما كان الناس يعلمون أن المؤمن إذا تصدق فإنه يتصدق بيمينه فإنه توجس أن يراقبوها فمن شدة الرغبة في التستر خالف المعهود من عادات المسلمين فتصدق بشماله حرصاً منه على الإخلاص لله رب العالمين.

إن من فوائد صدقة السر أنها تطفئ غضب الرحمن كما جاء في الحديث قوله ﷺ: "إن صدقة السر تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى".

ولا شك أن هناك أعمالاً كثيرة يقوم بها بعض الناس تغضب الجبار سبحانه فيَهُمّ بأن يعُمّ الجميع بعقاب من عنده من ذلك ما جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ :"يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ"(14).

والمؤمن عندما يخفي صدقته فهو لا ينفع نفسه بالحصول على الثواب الجزيل من عند الله تعالى فحسب ولا ينفع الفقير بأن يتصدق عليه ويحفظ له كرامته ولكنه ينفع الأمة كلها بأن يشفع لها عند الله عندما تستحق عقوبة ...فهل نحن شاكرون لمن لا نعلمهم وبكرامتهم عند الله تعالى وبصدقهم وسرهم في صدقاتهم ننعم برحمة الله تعالى؟ وهل نترشح لهذا المقام الرفيع الذي لا يزاحمنا فيه مزاحم؟

وأخيراً فإن المناسبة في هذا الحديث بين من دعته المرأة الحسناء ذات المنصب فتورع عن ذلك قابل الذين أشاعوا الفاحشة حتى ظهرت واستحق الناس العقاب وأن هذا الكريم المخلص قابل الذين منعوا زكاة أموالهم ...فما أكثر الصالحين الذين لا يعلمهم إلا علام الغيوب : ﴿ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(يوسف 38).

ومن كرم الله أن جعلنا من أمة تنجب أمثال هؤلاء

---

1 متفق عليه 2 رواه الإمام مسلم
3 رواه الشيخان 4 الترغيب والترهيب
5 الجامع الصديد للترمذي، كتاب الحكم.
6 متفق عليه. 7 في صحيح مسلم.
8 متفق عليه. 9 الترغيب والترهيب.
10 متفق عليه. 11 رواه البخاري.
12 رواه مسلم
13 والأفضل في إظهار الصدقة أو إخفائها يختلف باختلاف الأحوال، فإن كان في إظهارها مصلحة فهو أفضل، وإلا فإخفاؤها أفضل فرضاً ونفلاً.
14 رواه ابن ماجة والحاكم

مفهوم الأسرة في ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف

د. مصطفى فوضيل

مفهوم الأسرة في اللغة:

تدور مادة أسر وما يشتق منها على التحصن والربط والاشتراك والقوة. وعلى هذا قالوا:

- الأسرة: الدرع الحصينة. (المعجم الوسيط/ أسر)

- وقال أبو عبيد: أُسْرَة الرجل: عشيرته الأدنون. (تهذيب اللغة/ أسر).

- وعلل الزبيدي: الرَّهْطُ الأَدْنَوْنَ وعَشِيرَتُه لأَنَّه يتقوَّى بهم كما قاله الجَوهريُّ. أسرة الرجل: قومه الذي يتقوى بهم، من الأسر: القوة. (تاج العروس/ أسر: وجامع الأصول في أحاديث الرسول 3 / 547).

- والأسرة: الجماعة يربطها أمر مشترك. (المعجم الوسيط/ أسر).

- والإِسارُ الْقَيْدُ ويكون حَبْلَ الكتاف، ومنه سمي الأَسير، لأَن آخذه يستوثق منه بالإِسار وهو القدُّ لئلا يُفلت. ثم سُمي كُلُّ أَخيذ أَسيراً وإِن لم يشدّ به. (لسان العرب/ أسر)

- وجاءَ القوم بأَسْرِهم قال أَبو بكر معناه جاؤُوا بجميعهم وخَلْقِهم. (لسان العرب/ أسر)

هذه خلاصة الدلالة المعجمية اللغوية لهذه المادة. ومن أهم ما يلاحظ بعد النظر في دلالة لفظ الأسرة في المعاجم ما يلي:

1- إضافتها إلى الرجل. حتى قال أبو جَعْفَرٍ النَّحّاس: الأُسْرَةُ بالضّمّ: أَقاربُ الرَّجلِ من قِبَلِ أبيه.

2- أن عددا من المعاجم تعرف الأسرة في سياق من تعاطف الألفاظ وخصوصا "الأهل" و"الرهط" والعشيرة"، فيقولون: "الأسرة: أهل الرجل وعشيرته". ويقولون: "أسرة الرجل: عشيرتُه ورهطُه الأدنون؛ لأنّه يتقوّى بهم" (لسان العرب/ أسر) والأُسْرَةُ: عشيرة الرجل وأهل بيته".(لسان العرب/ أسر)

3- تعليل هذه الإضافة بالتقوّي. وقد فسر الغزي الأسرة بأنها الجماعة القوية. (حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك).

ومما يؤيد هذا المعنى أن الأَسْر شدَّة الخَلْق، ورجل مأْسور ومأْطور: شديدُ عَقْد المفاصل والأَوصال. وفي التنزيل ﴿نحن خلقناهم وشددنا أَسْرهم﴾ أَي شددنا خَلْقهم. (لسان العرب/ أسر)

4- الاشتراك القائم على الارتباط.

والعرب تطلق لفظ الأسرة للدلالة على قدر من التجمع البشري، إذ المستويات متعددة من عدة وجوه.

ينقل ابن حجر رحمه الله تعالى عن الزبير بن بكار في كتاب النسب التقسيمات الآتية: "قبيلة، ثم عمارة بكسر العين، ثم بطن، ثم فخذ، ثم فصيلة.

قال: "وزاد غيره قبل الشعب الجذم وبعد الفصيلة العشيرة.

ومنهم من زاد بعد العشيرة الأسرة ثم العترة.

فمثال الجذم عدنان ومثال الشعب مضر ومثال القبيلة كنانة ومثال العمارة قريش وأمثلة ما دون ذلك لا تخفى.

ثم قال: ويقع في عباراتهم أشياء مرادفة لما تقدم كقولهم: حي وبيت وعقيلة وأرومة وجرثومة ورهط وغير ذلك. ورتبها محمد بن أسعد النسابة المعروف بالحراني جميعها وأردفها فقال: جذم ثم جمهور ثم شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم عشيرة ثم فصيلة ثم رهط ثم أسرة ثم عترة ثم ذرية. وزاد غيره في أثنائها ثلاثةً وهي: بيت وحي وجماعة". (فتح الباري 6 / 528).

فعلى هذا الترتيب الذي ينساب من الأعلى إلى الأدنى ومن الأكثر إلى الأقل في مستوى التجمع، ويضع الأسرة في الأواخر، يمكن الاقتراب من مفهوم هذه الوحدة البشرية السائدة في الأذهان عن الأسرة اليوم.

ومما يدل على هذا المعنى ما قاله صاحب البصائر والذخائر: "وفلان ذو أسرة كريمة أي أهل بيت، كأن أسرة الرجل ما هو مأسور به، أي مشدود به، لأن الرحم والقرابة يضمان على الإنسان ويشدانه، والأسر: الشد، ومن أجله قيل للأسير أسير لأنه مأسور، أي مشدود بالإسار، أي بالقد، واستأسر فلان: أي انقاد حتى شد، واستأسر فلان فلاناً أي أخذه أسيراً". (البصائر والذخائر 1 / 80).

دلالة المفهوم في ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف:

الواقع أن مصطلح الأسرة بالمفهوم المتداول حاليا، مصطلح معاصر، فالدلالة المعجمية لم تنص عليه بشكل صريح محدد، بل مر بنا إنها تمتد إلى العشيرة الذين يتقوى بهم. ولعل السبب في ذلك هو أن طبيعة العلاقات البشرية في أصلها الكوني الخلقي الفطري، تستعصي على التقليص في رجل وامرأة وأبنائهما.

فإذا تجاوزنا اللغة إلى النص الشرعي، فإن لفظ الأسرة لم يرد في القرآن الكريم، ولا في كلام رسول الله ﷺ، وأقصى ما ورد منه هو إشارة في حديث عن مَعْمَرٍ يحكي فيه قصة رَجُلٍ وَامْرَأَة مِنْ الْيَهُودِ زَنَيا.. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد كلام: ".. فَمَا أَوَّلُ مَا ارْتَخَصْتُمْ أَمْرَ اللَّهِ قَالَ زَنَى ذُو قَرَابَةٍ مِنْ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِنَا فَأَخَّرَ عَنْهُ الرَّجْمَ ثُمَّ زَنَى رَجُلٌ فِي أُسْرَةٍ مِنْ النَّاسِ فَأَرَادَ رَجْمَهُ ... الحديث.

ولفظ الأسرة في هذا الحديث كما ترى ليس من كلام رسول الله ﷺ، وإنما هو من لفظ اليهودي الراوي للقصة.

وقد صنف صاحب معجم المكنز مصطلح الأسرة ضمن المصطلحات المعاصرة ثم قال: الأسرة جماعة يربطها أمر مشترك، أسرة عمل، رب الأسرة: عائلها.

وبالغ آخرون من المهتمين بالتصحيح اللغوي فاعتبروه خطأ، وقالوا: "الصحيح: البيت، وأهل البيت .وفي "اللّسان": أسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون؛ لأنّه يتقوّى بهم".(جمع بأسماء كتب التصحيح اللغوي).

يقول الدكتور سيد محمد ضفار: "لا نجد في القرآن أو الحديث مصطلحا يعادل تماما كلمة "الأسرة" ولكن نستطيع استعمال كلمة "الأهل" المستعمل فيهما على أنه الأسرة، وتعني كلمة "أهل" حرفيا سكان بيت أو مسكن أو قرية، أو قطر كما تعني كلمة أسرة الرجل، الساكنين مع الرجل في مسكن أو مكان واحد". (انظر فقه الأسرة المسلمة في المهاجر/ د. محمد الكدي العمراني 1/ 170).

وهذا اللفظ القرآني يمكن اعتباره جسرا نمر من خلاله إلى لفظ الأسرة لتحديد مفهومه في الإسلام.

مصطلحات دالة على مفهوم الأسرة في القرآن الكريم والحديث الشريف:

وقبل المرور إلى تناول لفظ الأهل وصلته بلفظ الأسرة، نشير إلى لفظ مهم جدا وهو لفظ البيت، فقد ورد في عدة نصوص، مجردا ومضافا، ومن أهم النصوص الواردة في هذا المقام، قوله ﷺ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِه وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا... حتى قال: "وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه". فعمم المسؤولية بداية وانتهاء حتى تشمل سائر التجمعات البشرية.

وفي تعريف الأهل يقول الراغب رحمه الله تعالى: "أهل الرجل: من يجمعه وإياهم نسب أو دين، أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، وأهل الرجل في الأصل: من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تُجُوِّز به فقيل: أهل الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب، وتعورف في أسرة النبي عليه الصلاة والسلام مطلقا إذا قيل: أهل البيت لقوله عز وجل: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾(الأحزاب :33ﷺ)، وعبر بأهل الرجل عن امرأته. وأهل الإسلام: من يجمعهم.

وقول الراغب :أهل الرجل في الأصل: من يجمعه وإياهم مسكن واحد: يؤيده ما نقله ابن فارس عن الخليل: أَهْل الرَّجُل أخصُّ النّاس به.

وقال ابن عاشور: "والأهل: الفريق الذين لهم مزيد اختصاص بما يضاف إليه اللفظ، فمنه أهل الرجل عشيرته، وأهل البلد المستوطنون به، وأهل الكرم المتصفون به". وقال في موضع آخر: "ويكنى عن الزوجة بالأهل. وفي الحديث "والله ما علمت على أهلي إلا خيرا" . والأهل: العشيرة من زوجة وأبناء وقرابة.

ولم أجد في ما اطلعت عليه من المعاجم من وقف عند الأصل الحسي، للفظ الأهل، غير ابن فارس حيث قال: وكلُّ شيءٍ من الدوابّ وغيرها إذا ألف مكاناً فهو أَهلٌ وأَهْلِيٌّ. وفي الحديث: "نهى عن لحوم الحُمُر(8) الأهليّة". وقريب منه قول ابن العربي: "أَصْلُ الأَهْلِ الاِجْتِمَاعُ ، يُقَالُ مَكَانٌ آهِلٌ إذَا كَانَ فِيهِ جَمَاعَةٌ". (أحكام القرآن لابن العربي).

ومن المصادر التي اهتمت بتعريف لفظ الأسرة مع مراعاة الدلالة الشرعية، الموسوعة الفقهية الكويتية، فقد ورد فيها قولهم: "لَفْظُ الأُسْرَةِ لَمْ يَرِدْ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، كَذَلِكَ لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ الْفُقَهَاءُ فِي عِبَارَاتِهِمْ فِيمَا نَعْلَمُ . وَالْمُتَعَارَفُ عَلَيْهِ الآْنَ إِطْلاَقُ لَفْظِ (الأُسْرَةِ) عَلَى الرَّجُلِ وَمَنْ يَعُولُهُمْ مِنْ زَوْجِه وَأُصُولِه وَفُرُوعِه . وَهَذَا الْمَعْنَى يُعَبِّرُ عَنْهُ الْفُقَهَاءُ قَدِيمًا بِأَلْفَاظٍ مِنْهَا : الآْل، وَالأَهْل، وَالْعِيَال. (4 / 223)

وتجاوز الشيخ عبد الحميد السائح مسألة الورود أو عدم الورود في النصوص الشرعية، منطلقا من الدلالة اللغوية والبدهية للفظ الأسرة فقال: "الأسرة هي النظام الاجتماعي الذي ينشأ عنه أول خلية اجتماعية تبدأ بالزوجين وتمتد حتى تشمل الأبناء والبنات والآباء والأمهات والإخوة والأخوات، والأقارب جميعا". (الإسلام وتنظيم الأسرة نقلا عن المرجع السابق 1/ 171).

وبالنظر في دلالة لفظ الأسرة والأهل وما أشبه في اللغة وفي نصوص القرآن الكريم التي لها علاقة بالمفهوم، وتعريفات الفقهاء، فإنه يمكن الخلوص إلى التعريف الآتي:

الأسرة: " الرجل وأهله الذين يعولهم ويجمعه وإياهم مسكن واحد، وهم في الأصل زوجه وأولاده، ثم من يرتبط به أو يمتد إليه بالنسب من الأصول أوالفروع".

وقد روعي في هذا التعريف ما يلي:

1- أن استعمال لفظ الأهل في التعريف يؤكد مفهوم السكن الوارد في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ به فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف 189) ، ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم21). وبه نفهم أيضا الضميمة المصطلحة: "أهل البيت". حيث يجتمع السكن المادي والمعنوي.

وهاهنا ملحظان مهمان:

- ملحظ الخصوصية التي تتميز بها الأسرة. وقد يكون هذا هو السبب في مصطلح "الأحوال الشخصية".

- ملحظ الود والألفة والعاطفة والحب الذي يجمع بين أفراد الأسرة.

وهذان الملحظان يدلان على القيمة الدلالية للفظ الأهل.

ولك أن تقارن بين هذا المعنى

من وحي الهجرة النبوية

ذ. أحمد حسني

جاءت الرسالة المحمدية بعد موكب طويل من الرسل أبلغوا رسالات ربهم إلى أقوامهم. قال الله تعالى : ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه﴾(المومنون : 44). فمنهم من يؤمن بهؤلاء الرسل وهم قليل، ومنهم من يكذب بهؤلاء الرسل وهم كثير.

ومضت فترة غلبت فيها الشهوات على الإنسان، وانطمست النفس اللوامة، ففسد الفرد وفسد المجتمع.

وحين تنطمس النفس اللوامة لغلبة الشهوات، وحين يفسد المجتمع، ولا توجد طائفة تأخذ بيد النفس اللوامة، فإن السماء تتدخل بإرسال رسول جديد وكان هذا الرسول هو النبي محمد ﷺ، فكان - بحق - مسك الختام للأنبياء والمرسلين، جاء وأعلن الدعوة إلى الله تعالى بمكة المكرمة لأن فيها بيت الله الحرام والكعبة المشرفة.

ما أجمل أن يلتقي المسلمون على ذكرى المناسبات الإسلامية المباركة في كل عام، فإن عطاء الأحداث في الإسلام ليس مناسبة تحيا وتمر بمرور الزمان، وبخاصة مناسبة ذكرى الهجرة النبوية.

إن رسول الله ﷺ لم يهجر مكة لأنه كره مقامه بها، بل إنه قال وهو يغادرها "ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك"(الترمذي).

ولكن العجيب أن النصرة لم تكن في مكة، وجاءت في المدينة المنورة، حيث انطلق منها نور الإسلام، وشاءت حكمة الله تعالى أن يجعل مبدأ الدعوة في مكة، وجعل النصرة في المدينة المنورة حتى لا يقال إن أهل محمد ﷺ في مكة جاءوا برجل ليفرضوه على الناس.

ونلاحظ في هذه الهجرة أمورا عجيبة لا يمكن أن تجعلها من تخطيط البشر، فالرسول ﷺ هاجر إلى الطائف قبل هجرته إلى المدينة المنورة يحدوه الأمل في هداية ثقيف ويطلب النصير فعاد كسير النفس، وقد أفرغ شحنة رجائه في نصرة الخلق هناك، فلجأ إلى الله وحده يقول : "**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا ارحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي**" **(الطبراني)**.

أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة لتكون مهاجرا آمنا، وهو الذي لم يقرأ تاريخ الشعوب، ولا اطلع على سياستها، ولكنه قال لأصحابه "إن فيها مَلِكا لا يُظلم عنده أحد" وصدق الواقع رسول الله ﷺ تأكيدا بأنه﴿لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾(النجم : 3- 4).

ثم أخذ الرسول ﷺ بيعة العقبة الأولى، وبيعة العقبة الثانية، وكان يأخذ البيعة لله، ويعطي ثمنها الجنة للذين بايعوه، ثمنا آجلا لا عاجلا، فكانت البيعتان إمدادا لرسول الله ﷺ بعد أن استنفذ أسباب البشر وانكسر في الطائف.

> **العجيب أن النصرة لم تكن في مكة، وجاءت في المدينة المنورة، حيث انطلق منها نور الإسلام، وشاءت حكمة الله تعالى أن يجعل مبدأ الدعوة في مكة، وجعل النصرة في المدينة المنورة حتى لا يقال إن أهل محمد ﷺ في مكة جاءوا برجل ليفرضوه على الناس**

لقد عرض رسول الله ﷺ الدعوة التي هي دعوة الله على قومه بمكة، فمنهم من استقبلها بعقل وفكر وأناة، ومنهم من رماه بالجنون ولا يتصور أن يكون الإنسان الذي في خلق رسول الله ﷺ وحكمته وصدقه وأمانته من المجانين، ومنهم من قال إنه ساحر، ولو كان كذلك لسحر أعداءه فآمنوا به جميعا، ولم يكفروا بما جاء به، ومنهم من قال، كما قال قوم نوح لنوح عليه السلام. ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾(هود: 27)

جاء رسول الله ﷺ لتصحيح مسار أهل الأرض جميعا وإخراج الناس من مرادهم إلى مراد الله تعالى، لقد حل الرسول ﷺ مشكلات البشرية الثلاثة : الشورى، والعدل الاجتماعي، والإخاء البشري، وقضى على الصراع الطبقي والعنصرية، فأسس أسلوب الرحمة والكرامة أساسا للتعامل الاجتماعي، ولا يزال ذلك التراث بين يدي المسلمين حيا نابضا بالحياة قادرا على العطاء.

فقد تنازل الأنصار بالمدينة المنورة للمهاجرين عن نصف أموالهم اختيارا لا إجبارا، وتقاسموا ما عندهم طواعية، بل إن بعض المهاجرين رفض قبول مقاسمة أخيه الأنصاري فيما عنده، كما فعل الصحابي عبد الرحمان بن عوف رضي الله عنه الذي اعتذر لأخيه الأنصاري سعد بن الربيع عن قبول عرضه فقال له : "دلني على السوق".

كانت الهجرة النبوية المباركة تربية للمؤمنين، كما كان الإسراء من قبل -وهو مخالف لنواميس الكون- امتحانا للعقيدة، فمن لم تصح عقيدته لا حاجة للمسلمين به، ومن صحت عقيدته أصبح أهلا لهذه العقيدة وكان أول الذين صحت عقيدتهم سيدنا أبو بكر بن قحافة رضي الله عنه، الذي أخبره الناس بالإسراء، فقال قبل أن يلقى النبي محمدا ﷺ : والله إن كان قد قال ذلك فقد صدق. وبذا أصبح أبو بكر أحق الناس بأن يكون رفيق رسول الله ﷺ في الهجرة، ولهذا لقب بالصديق. ونزل القرآن يقول : ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾(التوبة : 40)

والتعريف الماركسي مثلا للأسرة بأنه "مجموعة من الأشخاص يكونون وحدة اقتصادية ويجمعهم مسكن واحد". (محمد سند العكايلة، اضطرابات الوسط الأسري وعلاقتها بجنوح الأحداث، الطبعة الأولى،دار الثقافة، عمان، 2006 ص71).

أو تقارنه بتعريف ميردوك الذي يقول: الأسرة هي (جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل سواء أكان من نسلها أم عن طريق التبني) (عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية، الطبعة الأولى، بيروت، دار النهضة العربية ص165)

2- أن الأصل في تكوين أي أسرة، هو العلاقة بين رجل وامرأة، وهذا قطعي في الشريعة، وبه يخرج كل شكل من أشكال الأسرة مما يمثل شذوذا عن الفطرة، ومصادمة للشريعة. وسيأتي الكلام عن بعض تلك الأشكال في الفكر الغربي، وفي بعض الحضارات. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾(الروم : 22). وتأمل كيف تكلم عن الأسرة الخاصة والأسرة الكونية، وكيف توسط ذكر خلق السماوات والأرض، للتنبيه على موقع الإنسان فردا وجماعة في النسق الكوني.

3- أن هذا الأصل مبني على قاعدة كونية، وهي قاعدة الزوجية التي تتجلى في كل شيء، قال الله تعالى ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات : 49). فالخروج عن هذه القاعدة خروج عن النسق الكوني.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (الأنبياء : 72). ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء : 1). وهذه الآيات وغيرها كثير ترسم لنا مشهدا عظيما لأسرة كبيرة ممتدة في الزمان وفي المكان.

4- أن لفظ الزواج يقيد العلاقة بين الرجل والمرأة بقيد الشرع، وحينئذ لا ينظر فيه فقط إلى أصل الحل والحرمة في العلاقة، ولكن ينظر فيه أيضا إلى ما يترتب على الخضوع للشريعة من حقوق وواجبات، تتعلق بكل فرد من أفراد الأسرة أبا وأما وابنا وأختا بل حتى من العبيد على فرض وجود عبيد الآن. وأذكر في هذا المقام وقفة لطيفة من الطاهر بن عاشور عند قوله تعالى ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ والأهل هنا بمعنى السادة المالكين، وهو إطلاق شائع على سادة العبيد في كلام الإسلام، وأحسب أنه من مصطلحات القرآن تلطفا بالعبيد، كما وقع النهي أن يقول العبد لسيده: سيدي، بل يقول : مولاي.

يقول الراغب: "ولما كانت الشريعة حكمت برفع حكم النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال تعالى: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾(هود : 46)، وقال تعالى: ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول﴾(هود: 40).

5- أن الأسرة بهذا المفهوم المستند في التعالق بين الأصول والفروع إلى الشريعة، وبناء على الدلالة المعجمية اللغوية التي سبق بيانها، تستعصي على التطور المذموم في اتجاه التقلص، كما حدث في الغرب، حيث تقلصت العلاقات الاجتماعية في أعنف وجوهها إلى ما يعرف بالأسرة النووية.

6- أن الارتباط والامتداد من النواة التي هي الزوج والزوجة، إلى ذوي الأرحام والأقارب، تفرضه الدلالة العميقة للفظ الأهل المستعمل في القرآن الكريم والسنة المشرفة، وقد مر بنا أن مادة أهل، تدل على الإعمار والألفة، وهو أمر يتجاوز مفهوم الارتباط والشد والقوة الذي يدل عليه لفظ الأسرة. وواضح من نصوص القرآن الكريم أن مفهوم الأهل يمتد ليشمل البلد كله. ومن هنا تظهر القيمة الاجتماعية للأسرة في الإسلام. ويكفي أن نستحضر مفهوم الأخوة الذي تجاوز به الاصطلاح الشرعي الرابط الدموي إلى الرابط الديني كما قال تعالى ﴿إنما المومنون إخوة﴾، ﴿والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾.

العرب والمأزق التاريخي للغة العربية (2)

إعداد د. الطيب الوزاني

في هذا العدد نواصل محاولة تقريب مضامين الفصل الثاني الذي عنونه الدكتور عبد السلام المسدي ب"المأزق التاريخي" (ص.ص:37-19) حيث يواصل الدكتور حديثه عن واقع اللغة العربية في السياق السياسي والثقافي المحلي والعالمي ويبين المأزق التاريخي التي آلت إليه اللغة العربية، فعن أي مأزق تاريخي يتحدث ؟ وما طبيعة مشكلاته؟ وما هي الحلول التي يقترحها الكاتب لخروج العرب بلغتهم من هذه المأزق؟

أولا في طبيعة المأزق التاريخي وعناصره

يرى المؤلف أن "اللغة العربية - كما ازدهرت وكما وصلتنا مع فجر نهضتنا ماضيا - قضية فكرية غزيرة الموارد، واللغة العربية هي الآن وكما تتعاطى أمرَها مؤسساتُ المجتمع مسألة تربوية خلافية، أما اللغة العربية من منظور استشراف مستقبلها فقضية حضارية كبرى ترتد إلى إشكال سياسي بالغ الخطورة والتعقيد، لأن الشأن السياسي لم يعد شأنا قطريا أو شأنا إقليميا، بل غدا شأنا دوليا بالضرورة، يندرج ضمن استراتيجية الخيارات العالمية الكبرى" **إن الوضع الذي آلت إليه اللغة العربية ليس هو الوضع الذي كان ينبغي لها أن تتبوأه؛ إن هذه اللغة "لو أنصفها التاريخُ وأهلُها لكان من المفروض أن تكون هي أداةَ التداول في كل ما يتصل بمجالات الفكر والثقافة والمعارف، وبكل حقول التسيير والتوجيه، وكذلك بكل حقول الإبداع والفنون"** وبناء على هذا يصرح الكاتب ب" أن **وضع اللغة العربية في هذه المرحلة التاريخية وضع حرج جدا"**(ص. 23)، كما أن **مأزق اللغة العربية لا يرجع إلى تهديد اللغات الأجنبية الأخرى لها، وإنما يرجع بالأساس إلى تهديد العاميات واللهجات** "فاللغات الأجنبية فيما مضى كانت عدوا أيديولوجيا يوم كان الصراع الحضاري معتمدا على الاكتساح العسكري، وكانت المذهبيات رأس الحربة في المعركة **أما اليوم - في صراع الكونية الثقافية بعباءة الأممية السياسية والعولمة الاقتصادية - فإن اللهجات المهدِّدة لبقاء اللغة القومية الفصحى هي العدو الثقافي الأشرس**"(ص.-35 36)، إذن فكيف حصل هذا المأزق التاريخي؟ وكيف صارت العاميات (البنات) تهدد أمها العربية الفصيحة؟

أ- السياق التاريخي لأزمة اللغة العربية :

يركز المؤلف في هذا المجال على سياقين : سياق قديم وسياق جديد؛ فالأول تولد مع حركة الاستعمار والاستشراق؛ فالفكر الاستعماري كانت وظيفته تسويغ الاستعمار وتصوير عمله بأنه شريف ونبيل ومتحضر وأنه يقوم بوظيفة ترقية الشعوب من البدائية إلى مراتب الحضارة.

أما الفكر الاستشراقي(الحليف الحقيقي للاستعمار) فانصبت اهتماماته على اللهجات العربية.. بغية تنميطها وكشف أنساقها إلى أن تَهيأ كل شيء لإطلاق الدعوة إلى نبذ العربية وإحلال بَناتها محلها، وكان المثقال الأكبر في الحبكة الفكرية والاستدراج الذهني هو القياس المتعجل بين ما حصل للغة اللاتينية وما يجب أن يحصل للغة العربية، وكانت الأشياء تقدم وكأنها قانون من قوانين التاريخ الصارمة"(ص.32-31) ويدخل في نظر المؤلف ضمن دائرة المستشرقين كل من تأثر بهم وحمل دعوتهم من المفكرين العرب كما سيأتي.

أما السياق الجديد فهو سياق العولمة والنظام العالمي الجديد في كونيته الثقافية، فهذا النظام - كما يقول المسدي - " لابد أن يتضمن مشروعا ثقافيا لغويا بلا أي تشكك.. **فاللغة هي الحامل الأكبر للمنتج الثقافي، وهي الجسر الأعظم للمسوق الإعلامي وهي السيف الأمضى في الاختراق النفسي، وعليها مدار كل تسلل إيديولوجي أو اندساس حضاري، فدعاة الأممية وأنصار العولمة.. يعلمون علم اليقين أن اللغة هي أم المرجعيات: في تشييد المعمار الحضاري وفي بناء صرحه الثقافي**"(ص30-29)، بل إن الكونية الثقافية عند المؤلف في أصلها كونية لغوية لذلك تجده يقول: "**وليس من عاقل يسلم باكتساء النظام العالمي الجديد ثوب الحرب الاقتصادية والثقافية إلا وهو يسلم تسليما طوعيا بأنه - على تعدد أربابه - حامل لبذور الصراع اللغوي المحتدم**"(ص.30)، لذلك ف"**المعركة الحضارية هي صراع بين الثقافات، وتطاحن بين الهويات، وتناحر على القناعات، ثم هي قبل ذلك كله وبعد ذلك كله، تقاتل على مراكز النفوذ اللغوي**"(ص.28) إن "النظام العالمي ما فتئ يكرس سطوة الغالب على المغلوب مرسخا في كل لحظة سلطان اللغة الأقوى"، فحقيقة الحرب الثقافية:" تفتيت القوميات المتماسكة، وخلخلة الثقافات الراسخة، وإرباك اللغات ذات المتانة الرمزية بدفعها نحو التشظي" (ص.28)

إن تضخم خطر هذه الكونية الثقافية هو ما يجعل - في نظر المؤلف - "**القضية اللغوية في واقعنا العربي الراهن قضية مصيرية بلا مبالغة وقضية حيوية بلا مجاز**"(ص28)، لكن ما هي مبررات الحملة على العربية؟

ب - مبررات الحملة على العربية :

هنا يقف المفكر اللساني التونسي عند بعض الأسباب الموضوعية وعلى رأسها الخوف والقلق الذي ينتاب صانعي القرار الدولي ومهندسي خريطة الاستراتيجية الكونية إلى حد الفزع من احتمال تزايد الوزن الحضاري للغة العربية في المستقبل المنظور فضلا عن المستقبل البعيد، فاللسان العربي هو اللغة القومية لحوالي 337 مليون في إحصاء 2007، وهو أيضا مرجعية اعتبارية لأكثر من 950 مليون مسلم غير عربي، ثم إن **اللسان العربي حامل تراث، وناقل معرفة، وشاهد حي على الجذور التي استلهم منها الغرب نهضته الحديثة في كل العلوم النظرية والطبية والفلسفية وهو بهذا الاعتبار يخيفهم أكثر مما يخيفهم اللسان الصيني أو الهندي**، فضلا عن أن اللغة العربية حاملة رسالة حضارية روحية، ومما يزيد من هذه المخاوف بناء على هذا المعطى الأخير هو الحضور المتكاثر للجاليات العربية الإسلامية في الدول الغربية حيث أصبحوا مواطنين في تلك البلدان لهم حقوقهم الدستورية في اللغة وفي المعتقد، إضافة إلى هذا يذكر المؤلف سببا آخر هو ألصق بالحقيقة العلمية القاطعة وأعلق بمعطيات المعرفة اللسانية الحديثة وهو أن **اللسان العربي هو اللسان الطبيعي الوحيد الذي استطاع أن يعمر حوالي سبعة عشر قرنا محتفظا بمنظومته الصوتية والصرفية والنحوية، وهذه الحقيقة العلمية والميزة في صمود اللسان العربي بقدر ما يبهج العلماء المخلصين بقدر ما يغيظ سدنة التوظيف الأممي ويستفز دعاة الثقافة الكونية بعد اكتشاف العلماء ما في التراث العربي من مخزون هائل يتصل باليات الوصف اللغوي، والحقائق النحوية، والبناء المنطقي الصوري الذي انتهى إليها النحو العربي**(ص.-25 26)

ثانيا في دور العرب في تكريس هذا المأزق

إن الدكتور المسدي في معرض تحليله للمأزق التاريخي للغة العربية يلقي باللائمة كثيرا على العرب من جهات عدة :

فمن جهة أولى فإن أصحاب القرار يتبنون حول المسألة اللغوية خطابا يستوفي كل أشراط الوعي الحضاري، ويأتون سلوكا يجسم الفجوة المفزعة بين الذي يفعلونه والذي قالوه.(ص.19)

ثانيا أن **الحقائق العلمية والمعرفية "ليس لها لدى ساسة العرب من الوزن ما لها لدى ساسة العالم المتطور".**(ص.19) وهو ما عبر عنه في الفصل الأول بالحقيقة الغائبة عن الوعي العربي.

ثالثا تأثر بعض المفكرين العرب بالفكر الاستشراقي في الدعوة إلى العامية ف"بعض الأغرار من العرب... كانوا متسارعين إلى إرضاء أساتذتهم من الغربيين(يقصد المستشرقين) متهافتين إلى استدرار الشهادة منهم بأنهم نجباء وبأنهم أوفياء، ولكنهم لم يخلصوا للعلم فخذلهم العلم... فتنادوا باللغة الثالثة وتمادحوا بلغة الكادحين، وتعانقوا بقميص الواقعية، وما علموا أن في ندائهم محقا لهويتين: هوية اللغة العربية الفصحى وهوية اللهجات العامية التي تمثل كل واحدة منها منظومة لسانية متكاملة" (ص.33-32)، لذلك فالمؤلف يحمل المثقف مسؤولية القضاء على العربية بحمله وزر تلهيجها وفي هذا يقول:"**إن اللغة العربية بما هي حامل للهوية الثقافية، وضامن لسيرورة الذات الحضارية، لا يتهددها شيء مثلما يتهددها صمت المثقف وهو ينظر إلى الزحف اللهجي يكتسح مجالاتها الحيوية ولاسيما في الإبداع الثقافي**" (ص.36، وص.35 أيضا)

ثالثا في مقترحات الحلول للخروج منه

إن حديث المؤلف عن المأزق التاريخي للغة العربية بقدر ما تخلله الوصف والتحليل والتعليل بقدر ما تخللته أيضا رغبة صريحة في إصلاح الوضع واقتراح بدائل وخطوات نظرية وعملية لخروج العرب بلغتهم نحو بر الأمان، ومن ذلك:

- تقوية الجبهة الحضارية والثقافية للذات: يقول الدكتور المسدي " ومما لا ريب فيه أن الحقائق التاريخية الجديدة جمع ينسلك في واحد، ليس للعرب فيها خياران، إنما هو خيار فريد: **أن يقووا جبهتهم الحضارية الداخلية، التي هي جبهة الذات التاريخية، وذلك بنهضة فكرية قوامها العقل الصارم، وساعدها المتين حرية في الرأي وفي التعبير والتواصل القائم على النقد المسؤول، وأن يقووا جبهتهم الثقافية بأن يَعُوا الوظيفة الجبارة التي تؤديها اللغة القومية ولن يؤديها بديل آخر من البدائل على وجه القطع والإطلاق**(ص.28).

- **ربط اللغة بالتنمية** ل"**أنه من المتعذر على أي مجتمع أن يؤسس منظومة معرفية لغوية تكون شاملة مشتركة متجذرة حمالة للأبعاد المتنوعة فكرا وروحا وإبداعا من غير اللغة. فاللغة هي الحامل الضروري المحايث لكل إنجاز لغوي. والذي له ذاك القدر الأدنى من الرَّوية والرجحان عليه أن يعرف أن اللغة - بما هي موضوع للتعليم وللبحث وللإنتاج - ركن أساسي في كل مشروع اقتصادي**". (ص.21).

-**الاقتناع بضرورة بناء مشروع لغوي ومنظومة تنموية جوهرها اللغة القومية:** فهذا هو المخرج من المأزق التاريخي للعرب مع لغتهم، لذلك يتساءل الدكتور بمرارة :" **متى يسلم أصحاب الأمر في وطننا العربي بكل أطراف المعادلة: أن السيادة الاقتصادية رمز للسيادة السياسية، وأن السيادة السياسية مستحيلة بدون سيادة ثقافية لغوية**، وأن امتلاك لغة الآخر سلاح ليس له اعتبار تقديري في السياسة والاقتصاد والثقافة إلا إذا استند إلى مرجعية لغوية قومية تعين الأنا على أن يقف ندا للآخر؟ ولكننا - كما هو باد على السطح الدولي - أمة بلا مشروع لغوي، نحن مجتمع يريد أن يبني منظومة تنموية وهو يغمض العين على مأزقه اللغوي المكين"(ص.22-21)

وباختصار ف" **إنه لا مجال أمام العرب للانخراط بكفاءة في المنظومة الإنسانية بكل أبعادها إلا بجبهة ثقافية عتيدة.**

ولا ثقافة بدون هوية حضارية
ولا هوية بدون إنتاج فكري
ولا فكر بدون مؤسسات علمية متينة
ولا علم بدون حرية معرفية
ولا معرفة ولا تواصل ولا تأثير بدون لغة قومية تضرب جذورها في التاريخ، وتشارف بشموخ حاجة العصر وضرورات المستقبل " (ص.37).

مجرد رأي

إنما النصر صبر ساعة.....

ذ. عبد القادر لوكيلي

...علمنا ديننا الحنيف أن نستبشر و نبشر الناس بالخير مهما ادلهمت الظروف و اشتد سواد الليل و أستأسد الظلم و استشرى الفساد..... علمنا ديننا أن نبقي جذوة الأمل في قلوبنا ونزرعها بين الناس....لأن اليأس موت وكفر وتكذيب لموعود الله لهذه الأمة بالنصر والتمكين ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾.

....علمنا حبيبنا و قدوتنا رسول الله ﷺ أن نبصر النور في لجج الظلام و نتلمس الخلاص والتمكين عندما يشتد البلاء ويستحكم القهر، فقد غضب ﷺ لما اشتكى له الخباب قهر الكفار وبطشهم ...طلب منه الدعاء لهم بالنصر فقط لا غير، فلماذا غضب رسول الله(ص) إذن ؟ ...لأنه اشتم من شكوى الخباب رائحة اليأس والاستعجال وهما أمران غير مسموح بهما لكل مؤمن في أي مكان أو زمان...فاليأس قرن في كتاب الله تعالى بالكفر وبالفسوق وبأشياء أخرى.... فالأمل دائما يبزغ من طيات الألم والفجر يولد عندما يشتد الظلام واسألوا (الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع). فهذا رسول الله ﷺ يعد سراقة ابن مالك بسواري كسرى وهو مطارد في الصحاري في طريقه إلى المدينة....يبشر صحابته الكرام بفتح قصور كسرى بالمدائن... وهم منهمكون في حفر الخندق يتضورون جوعا وعطشا ولا يستطيع الواحد منهم الذهاب للخلاء من شدة البرد والخوف ﴿حتى يقول الرسول والذين معه متى نصر الله....ألا إن نصر الله قريب﴾.

...أسوق هذه المقدمة لأذكر بعض مبشرات الانفراج في ظلمة الانقلاب العسكري في مصر .

× ذكر كبير المحللين العسكريين المصريين صفوت الزيات منذ أيام على قناة الجزيرة بأن الخناق بدأ يضيق على السيسي و قد بدأ بالفعل مشاورات مع قادة أمريكيين لضمان أمنه الشخصي بعد التوصل إلى حل مع مؤيدي الشرعية بعد أن تأكد لأمريكا والغرب أن الانقلاب قد فشل بالفعل.

× عصام سلطان –نائب رئيس حزب الوسط-يبعث برسالة من محبسه الانفرادي عن طريق عمر عبد الهادي – عضو جبهة الضمير- يقول :"عرضوا علينا خروج المرشد ومرسي وجميع المعتقلين الإسلاميين وصرف تعويضات لأهالي الشهداء وإعادة الأموال المصادرة للجماعة ....كل ده مقابل اعتراف الإخوان بالانقلاب. واحنا بنقول لا بديل عن الشرعية حتى و إن قتلنا جميعا "

× تسريبات شبكة رصد المتلاحقة بدأت تقض مضجع قائد الانقلاب وتفضح حقيقته على رؤوس الأشهاد محليا ودوليا. بحيث بدأ مؤيدوه ينفضون من حوله بعدما سمعوا كيف يتحدث عن الذين ساندوه في جميع خطواته : سخر من حمدين صباحي ووصفه بالسكرجي الذي نقل خبرا كاذبا عنه مفاده أنه لن يترشح للانتخابات الرئاسية حتى يخلوا له الجو لوحده. هاجم حليفه أبا الفتوح ووصفه بالإخواني المتطرف، كما تهكم على قيادات حزب النور وتوعدهم بالاعتقال والسجون إن هم تجاوزوا حدودهم.

× بدأت تظهر انقسامات بين الجيش و الشرطة مباشرة بعد التسريب الأخير ل"رصد " يلقي فيه السيسي بالمسؤولية على الشرطة في قتل المتظاهرين في أحداث الحرس الجمهوري، مباشرة بعد ذلك سربت الداخلية فيديو يثبت بأن ضابطا في الجيش هو من قام بتفجير موكب وزير الداخلية.

× العقيد عمر عفيفي اللاجئ في أمريكا يهدد بنشر فيديوهات و وثائق فاضحة للفريق السيسي.

.... أخيرا أختتم كلامي بمقولة مأثورة عن الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى :"هناك ساعة حرجة يبلغ الباطل فيها ذروته، و يبلغ فيها الحق أقصى محنته ...في هذه الساعة الشديدة...نقطة التحول".

خروق في سفينة المجتمع 33

قبلة أم قنبلة؟ ومن المسؤول؟

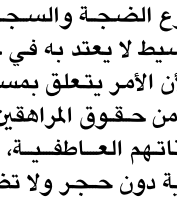

د. عبد المجيد بنمسعود

ما جرى من مداد غزير، وأثير من صخب عارم حول ما سمي ب" قبلة الفايسبوك" أو قبلة الناضور، تحول بشكل غريب ومثير، إلى سجال متعدد الأبعاد، أدلى فيه كل طرف بدلوه، بما يعبر عن معتقده وتصوره للحياة، ويمكن تصنيف ما تم التعبير عنه من مواقف وآراء، إلى ثلاث جبهات أو طوائف:

تمثل الأولى منها موقف التنديد والاستنكار لصنيع المراهقين الثلاثة، باعتباره تعاونا آثما على نشر صورة لفعل مخل بالحياء على الشابكة، بما يعني تداولها على نطاق عالمي يجعلها في مستوى الفضيحة المدوية، وما يمثله ذلك من ضرب لقيم الحياء، ودعم لتيار الفساد الذي يهيمن على المجتمعات الواقعة تحت المد الكاسح لعولمة مفترسة عاتية ، وبلغ هذا الموقف ذروته بجعل مرتكبي ذلك السلوك تحت طائلة القضاء، بما استتبعه من اعتقال المراهقين الثلاثة، ومساءلتهم عما اقترفوه.

وتمثل الثانية موقف المناصرة للأظناء، وذلك في شكل رد فعل مضاد لموقف الطائفة الأولى، على اعتبار أنه نحا في منظورها منحى تضخيميا للتصرف موضوع الضجة والسجال، لا لأن الأمر يتعلق بتصرف بسيط لا يعتد به في حساب الأعمال الجنحية، ولكن لأن الأمر يتعلق بمساس سافر بما يعتبرونه حقا من حقوق المراهقين في التعبير الطليق عن مكنوناتهم العاطفية، وفي تصريف شحناتهم الغريزية دون حجر ولا تضييق، أما عن أمر الإعلان عن الفعلة على صفحات الفايسبوك، فهو في منظور هذه الطائفة المتحررة من سلطان القيم والتقاليد، غير منفك عن مبدأ زائف مزعوم، هو ذاك الذي ينبغي –في منظورهم–أن يحكم التعامل مع بحر لجي تتلاطم أمواجه، ولا تكاد تستقر على حال، إنه مبدأ التحرر من قيود القيم وضوابط الدين.

أما الطائفة الثالثة فهي الطائفة التي نأت بنفسها عن الحكم على سلوك المراهقين الثلاثة في معزل عن سياقه المجتمعي، وما يكتنفه من تلوث ثقافي وانحراف سلوكي من جهة، ومجردا- من جهة أخرى- عن معيار مقارنته بالجرائم الكبرى والمفاسد العظمى التي تنخر كيان المجتمع، سواء تعلق الأمر بالجرائم المندرجة تحت جنس النازلة موضوع الضجة، وهو جنس الجرائم التي تمس الأعراض وتخدش الحياء، أو بالجرائم الأخرى المندرجة تحت مختلف الأجناس، فيكون من مقتضى هذه النظرة أن تعالج النازلة من زاوية سوسيو-ثقافية، بما يفضي إلى اعتبارها نتيجة حتمية لحالة مجتمعية مطبوعة بتكاثر الخبث السلوكي، جراء اختلال الموازين على مستوى التأطير التربوي والثقافي، أو التأطير العقابي التشريعي، ويكون من مقتضى تلك النظرة أيضا أن يضرب صفحا عن السلوك المقترف، لأنه لا يسوغ في ميزان العقل، أن يجرم قاصران على تبادل قبلة، حتى ولو عرضت على رؤوس الملأ في الفضاء العالمي، وتقابل جرائم الأعراض الصارخة بالعفو والإعراض، أو بالاستخفاف وإطلاق العنان، بل وبتوفير كل الأسباب والشروط التي تؤدي إلى نشوئها ونمائها وهياجها إلى حد السعار.

والحق أن معالجة الطائفة الثالثة هي الأقرب إلى الموضوعية والصواب، وإلى العدل في إصدار الحكم على النازلة، لأنها توفرت على عنصر الشمول، ومن ثم مراعاة جميع العوامل والحيثيات المحيطة بها، مع تنبيه ضروري في هذا المقام، وهو عدم صوابية حكم تلك الطائفة على سلوك المراهقين ونعته بالبساطة، لأنها أغفلت عنصرا هاما للتقويم والوزن، وهو عنصر السياق الذي مورس فيه الفعل، والحال أنه سياق اجتماعي وثقافي يتميز بالتسيب، وبثقوب خطيرة في جهاز المناعة المجتمعي، يجعل سفينة المجتمع تتحرك بصعوبة بالغة، وهذا يسمح لنا بالقول: إن الفعل البسيط الصغير الذي يدخل في اللمم في اصطلاح شريعة الإسلام، لا يؤمن عليه أن يبقى في حدود اللمم، في ظل بيئة اجتماعية ملوثة مزروعة بشتى صنوف الألغام: دعوة سافرة للفاحشة صباح مساء، ووابل من المثيرات والمغريات تصب على رؤوس الأطفال والمراهقين والشباب والرجال والنساء، وآلاف من القذائف الشيطانية العابرة للقارات، في ظل غياب مريع للتحصينات والمضادات.

وهنا لا بد أن أسجل ملحوظة هامة تتعلق باستشهاد بعض الكتاب- وهم يتناولون هذه النازلة- بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه مسلم وأبو داود وأحمد والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، والذي مفاده أن رجلا جاء عند رسول الله ﷺ واعترف له بأنه قبل امراة، وطلب منه أن يفعل به ما يشاء، فسكت عنه رسول الله [، ثم طلب إرجاعه بعد انصرافه، فقرأ عليه قول الله تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل، إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ .

أقول إن الذين استشهدوا بالحديث الذي هذا بعض مضمونه، لم يراعوا الفرق بين طبيعة المجتمع النبوي الذي يتسم بالطهر، وبسرعة الأوبة إلى الله عز وجل، وبامتلاكه لجهاز مناعة قوي، يمنع تفاقم الأمراض، ويضع لها حدا إما بوازع داخلي يتمثل في اليقظة الإيمانية، أو برادع خارجي يتمثل في الإجراءات الزجرية، وبين مجتمع تتناسل فيه المعاصي والذنوب، وتتطور من لمم إلى موبقات، بسبب انعدام العنصرين السابقين، إلا قليلا، خاصة في أوساط فئة غضة تفتقد إلى التربية والتهذيب، وتعرض لمؤثرات مدمرة تنسف الفطرة، وتحجب المعاني الجميلة والدوافع النبيلة، وتزين صنوف الغواية والسقوط في شرك المعصية وأحابيل الشيطان.

من المسؤول إذن عن القبلة الزائغة وتداعياتها وشظاياها التي تطايرت في كل اتجاه، حتى صارت أشبه بالقنبلة فيما تخلفه من دمار وحطام؟

إن التحليل العميق والتقدير الحصيف، لا يستثنيان من المسئولية أحدا، على تفاوت في ذلك بين المواقع التي تشغلها الأطراف المتعددة الضالعة في النازلة، بدءا من المسئولين عن المنظومة التعليمية الذين سمحوا لجرثومة الاختلاط بين الجنسين أن تعربد في المؤسسات التي تحتضن المراهقين، وتفتك بالصحة النفسية والعقلية للشباب، وتودي بمستوى التحصيل العلمي، وتنحدر به إلى أسفل المراتب، وتثنية بالمسؤولين عن أجهزة الإعلام التي أصبحت أجهزة لنشر أمثلة السوء، وإعدام القيم وهدم العقول، ونسف البناء الحضاري للأمة جملة وتفصيلا، مرورا بدور الأسرة التي ينبغي أن تشكل الدرع الحصين والحارس الأمين، في مواجهة الرياح العاتية التي تهب من كل حدب وصوب، دون أن ننسى كل مكونات البيئة الثقافية والاجتماعية وما تحتضنه من بذور ولقاحات، تحمل جينات الفساد والانحراف، الكل مسؤول والكل مسؤول عن رعيته كما هو منطوق حديث الرسول ﷺ.

إن المجتمع بجميع مكوناته وقنواته إذا استقال من تحمل مسؤولياته، يتحول حتما إلى تفريخ المجرمين والمنحرفين، الذين لا يخلو أن يكون منهم ضحايا بريئون، بسبب حرمانهم من تربية سليمة بناءة، تصنع الرجال والنساء على عين الإسلام، أولئك الذين يرأبون الصدوع، ويرفعون بناء الحضارة الشامخ الرفيع.

المحافظة على الفرائض والتقرب إلى الله بالنوافل

4

الزكاة : العبد وما ملك لسيده

ذ. رشيد الميز

إن المال الذي بين يديك هو مال الله ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾(الحديد : 7). وإن إنفاق المال معيار العبد الصادق الواثق بما عند الله ولا يخشى فقرا في سبيل الله . فهو غني بالله مفتقر إليه. فمن امتلأ جوفه بروح القرآن فاض كيانه بالبذل وقد كان الرسول ﷺ مثل الريح المرسلة في رمضان بعد تدارسه القرآن مع جبريل عليه السلام.

وصفة الإنفاق جاءت مقترنة في كثير من الآيات بالصلاة. ﴿الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾(البقرة)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ. لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(فاطر : 29- 30) .

وقد ورد في سيرته ﷺ أنه كان أكرم الناس، يعطي عطاءً لا يعطيه أحد من البشر، جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم، أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة".

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما " ما سئل رسول الله ﷺ قط فقال (لا)" .

ولما قفل رسول الله ﷺ من غزوة حنين تبعه الأعراب يسألونه، فألجؤوه إلى شجرة، فخطفت رداءه وهو على راحلته فقال : (ردوا علي ردائي أتخشون علي البخل؟ فوالله لو كان لي عدد هذه العضاه نعما، لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا، ولا جبانا، ولا كذوبا). وكان ﷺ يؤثر على نفسه، فيعطي العطاء ويمضي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نارا.

فالزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله عموماً تعبد وتقرب إلى الله وفي الوقت ذاته زاد روحي وتربوي هام . وهو من علامات البر قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾(آل عمران : 92). وإن السالك لطريق الهدى بالدعوة إلى الله لابد أن يكون الإنفاق في سبيل الله من شيمه وأن يكون المال في يده لا في قلبه، وبالإنفاق يوزن مدى استعداد الفرد للتضحية ﴿هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾(محمد : 39). ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(الحشر : 9).

إن المال عصب الحياة والدعوات . فلا يمكن لمشاريع بنائية تروم النهوض بالمجتمع أن تضع تصوراتها وتحقق مشاريعها بما فَضُلَ من مال أوما تم جمعه من خلال "التسول".

إن التلكؤ في الإنفاق مؤشر على ضعف الارتباط بالله وعلامة على تمكن الدنيا من قلب الفرد فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض(1).

فاجمع ما شئت منه فعلى قدر حسابك البنكي هنا يكون حِسابُك الأخروي هناك.

فمن لم ينفق في سبيل الله بالاختيار ابتلاه الله فأنفق رغما عنه بالاضطرار

1- أخرجه البخاري

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : ....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

- داخل المغرب : 60 درهما
- خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

- جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
- أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 -الدكارات فاس -المغرب

شرح الأربعين الأدبية (23)

د. الحسين زروق

في إنشادِ الشِّعرِ في المسجد (1)

روى أبو داود عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ نهى عن الشراء والبيع في المسجد، وأن تنشد فيه ضالة، وأن ينشد فيه شعر، ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة(1).

هذا أول حديث في باب الشعر في المسجد، ومداره على ثلاثة أمور:

أولها ذكر خمسة أمور نهى عنها رسول الله ﷺ، وهي: الشراء والبيع وإنشاد الضالة وإنشاد الشعر في المسجد، والتحلق قبل الصلاة يوم الجمعة.

وثانيها أن القاسم المشترك بين ذلك كله هو الوقوع في المسجد.

وثالثها أن المقصد من كل ذلك يتجه في مسارين اثنين: مسار مؤسسة المسجد نفسها، ومسار الناس الموجودين بها.

ومحل الشاهد عندنا في الحديث هو إنشاد الشعر في المسجد، وتُفهم منه ومن السياق الذي ورد به مسألتان: الأولى سلوك، والثانية تربية.

أما السلوك فهو عملية إنشاد الشعر في المسجد، وهو الذي عبّر عنه الحديث بـ«وأن يُنشد فيه شعر»، وقد ورد في رواية لفظ «تناشد» بدل «يُنشد»(2)، ولفظ «الأشعار» بدل «شعر»(3)، والفرق بيِّنٌ بَيْن لفظي الروايتين:

إذ الرواية الأولى تُسند الفعل إلى المجهول، وتسوق المنهي عنه نكرة، وفيه أن إنشاد الشعر منهي عنه بِغَض النظر عن مُنشده، وعن نوع الشعر، فالفَهْم الأول للحديث أن النهي واقع على جميع الناس، وعن جميع الشعر.

وأما الرواية الثانية فالنهي فيها عن تناشد الأشعار، والصيغة الصرفية «تفاعل» تدل هنا على المشاركة، فإذن المنهي عنه ليس أن يُنشد الشعر في المسجد» بل أن تتحول المساجد إلى فضاء جماعي لتبادل الإنشاد بين الشعراء، ومشاركة عدد منهم في هذا الفعل، وعند هذا الحد يظهر بجلاء أن المسجد لم يَعُد فضاء للعبادة» بل صار ناديا شعريا، وملتقى من ملتقيات الشعراء يتبادلون فيه الأشعار، ويقدم كل واحد منهم فيه ما جَدّ لديه، وما قاله في هذا الموضوع أو ذاك.

ومما له علاقة بذلك أنه قد وقع في الرواية الثانية لفظ «الأشعار»، وهو يتناسب مع التناشد، إذْ تعدى الأمر أن يكون مجرد إنشاد للشعر في المسجد إلى حد أن صار هذا المسجد مكانا لتداول كثيف للأشعار من لدن الشعراء.

وبناء على ما سبق فإن الرواية الثانية للحديث تضيء المقصود من الرواية الأولى، وتحوّل فهمنا لها من مطلق النهي عن إنشاد الشعر في المسجد إلى تحويل المساجد إلى فضاء للشعر، وفي هذه الحالة يصير أمر النهي مفهوما وواضحا ومنسجما مع نصوص أخرى ومع سيرة النبي ﷺ في المسجد.

أما النصوص الأخرى فحسبنا منها هنا الآن ما رواه أبو داود بسند حسن عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «كان رسول الله (يضع لحسان منبرا في المسجد، فيقوم عليه يهجو مَن قال في رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ : إن روح القدس مع حسان ما نافَح عن رسول الله »(4)، وهو نص صريح في أن الإنشاد كان في المسجد، وستكون لنا معه فيما بعد وقفة خاصة بحول الله تعالى.

وأما السيرة النبوية فمن المعلوم من السيرة بالضرورة أن المسجد النبوي كان المؤسسة الرسمية للدولة المسلمة، وكانت قيادة رسول الله ﷺ تنطلق منه، ومنه كان يبدأ في تحريض المسلمين على القتال، والرد على المشركين، كما يُفهم من الحديث السابق نفسه.

وعلى كل حال فأقل ما يُفهم من حديث الباب بروايتيه، والنظر إليهما في ضوء الحديث السابق، أن الشعر في المسجد غير منهي عنه» لأنه كما قال الترمذي «قد روي عن النبي ﷺ في غير حديث رخصة في إنشاد الشعر في المسجد»(5).

وأما المنهي عنه في المسجد فهو أن يمارَس فيه ما يؤثر تأثيرا سلبيا على أدائه وظيفته، ومن ذلك أن يشغل الشعراءُ الناسَ بالشعر عن الذكر وقراءة القرآن، أو بعبارة واضحة أن تُعطل الوظيفة الكبرى للمساجد، وأن تَحل محلَّها ممارساتٌ يمكن أن تكون في فضاءات أخرى.

1- سنن أبي داود، 283/1، حديث رقم 1079، ك.الصلاة، ب.التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة. وقد رواه الترمذي في سننه وحسنه. ن. صحيح سنن الترمذي، 191/1، حديث رقم 322 ك. الصلاة، ب. ما جاء في كراهية البيع والشراء وإنشاد الضالة والشعر في المسجد، كما حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (م.س)، وفي صحيح سنن ابن ماجة، 231/1، حديث رقم 756/614، ك. المساجد والجماعة، ب. ما يكره في المساجد.

2- صحيح سنن الترمذي، (م.س)، وصحيح سنن ابن ماجة، (م.س).

3- صحيح سنن ابن ماجة، (م.س).

4- صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 5015، ك.الأدب، ب. ما جاء في الشعر. وقد علق عليه الألباني بقوله: «حسن»، كما أورده في الصحيحة، حديث رقم 1657). ورواه الترمذي في سننه، حديث رقم 2486، وقال: « هذا حديث حسن صحيح ».

5- صحيح سنن الترمذي، 192/1.

أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

الأمـــــر أعـــجـــل من استعراض المنكرات في الشارع العام

لا حـــول ولا قـــوة إلا بالله العلي العظيم، وأشفعها بقول الشاعر أبي البقاء الرندي الأندلسي في بكاء سقوط دولة الإسلام بالأندلس السليبة :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إسلام وإيمان

فما أصبحنا نراه في الشارع المغربي بين وقت وآخر ينفطر له القلب، وينكسر الفؤاد لإفراطه في الاستعلان بالفاحشة، إذ خلال الأشهر الحرم والأيام المباركة التي أمرنا فيها الخالق سبحانه بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والإكثار من الطاعات ونوافل القربى لله عزوجل، وفي أيام يفترض فيها أن يبلغ الجسد الإسلامي أوج تلاحمه، بتوحيد شعائر الحج لله تعالى سواء بالنسبة للمقيمين في بلدانهم أو الحـــجـــاج إلى بيت الله الحرام، من خلال مجموعة من العبادات والمعـــامـــلات الرســـالـــية على منـهـــاج المصطفى ﷺ ، نجـــد شـــوارع المغـــرب المسلم المتعدد المنفتح تصبح ميـدانا لنوازع هتك الحياء العام والمس بهوية الأغلبـية المطلقة من المغاربة المسلمين، بتحشيد مجموعة من الناس البسطاء ومن ذوي الحاجات السوية والمغرضة على قدم سواء، ودفعهم لإشعال فتيل الكراهية بشعارات عدوانية ما عهدها المغاربة في سابق زمنهم ل ، وفي أيام يفترض فيها أن يبلغ ********** وهم في وضع اجـتـمـاعي وسـيـاسي هش يداوون جراح الاستعمار ويعالجون آفات الفقر والأمية وضعف البنيات التحتية في تلاحم وتآزر بَصَـمَـةٌ دائمـا المثل المغربي الجـميـل (العـداوة ثابتـة ولكن الصواب يكون) ..

فهل نحن بصدد الارتكاس والعودة إلى مربع الصفر ..؟!

مـهـازل عـديدة!! لعل أفظعـهـا خلقيـا خـروج مـجـمـوعـة من أبناء المسلمين وبناته إلى الفضاء العام، للوقوف أمام البـرلمان وتبـادل القـبـلات والعناق باستعلان صاعق أمام أعين المارين، حتى إذا مـا أعطوا لـعـدسـات المصـورين الغربيين كل حصتهم من أخبار غسيلنا انطلقوا في مسيرة بالشارع العام وهم يصيحون: يعيش الحب، معلنين رفضهم للقبض على التلميذين اللذين تبادلا قبلة بالفايس.

نعم لهم الحق في رفضهم كما نرفض جميعا أن يزج بأطفال مغرر بهم بوسائل شـيـطانيـة شـتـى في السـجـن، وإلا فـإن جنبـات بعض المسـاجـد تحـيـا حـيـاة هوليوودية مفعمة بمقدمات الفاحشة، أبطالها يافعون، كما لا تعدم المؤسسات التـعـلـيـمـيـة والحدائق العـامـة وقـاعـات السـيـنـمـا من هذه الظواهر المنفلتـة من إطارها الأخـلاقي بشكل صـاعق، فـهل نسوق كل هؤلاء الصغار إلى المخافر؟؟ لا أظن إلا أننا سنحتاج إلى ساحات ملاعب كرة القدم لمحاكمة كمِّ المستعلنين بالقبل هنا وهناك.

من جـهـة أخـرى فـإن القـبـض على طفلين غافلين وبتلك الطريقة الفضائحية هو قـتـل علني لهـمـا خـاصـة بالنسـبـة للفتاة، فمن جهة سينالها المتحرشون بسـهـامـهـم أينمـا حلت وارتحلت، وسـينعـتـونـهـا بأقـبـح النعـوت، ولن تستطيع التـمـدرس كقريناتها بسلام، ومن جـهـة أخـرى ستـعـتـبـرها عـائلتـهـا مجلبـة للعـار و" الشوهة " وسـتـعـيش جـحـيـمـا لا يطاق في وسطهـا العـائلي والدراسي، وبالفضـاء العـام، فـهل فـعل ذلك رســـول الله ﷺ مع المنـحـــرفين لتـصـويـبـهـم واسـتـنـقـاذهم من سكة المعصية ؟؟

وماذا لو تعلق الأمر بالأطفال؟؟؟ وهم المستلبون بسحر إعلام تحريضي وجب القبض عليه عاجلا قبل الأطفال؟؟

وبصيغة أخرى ألم يكن حريا بنا أن نكون أقل تـهـــورا ونحـــتـــضن زغب حـواصلنا من أبنائنا ونـهـمس لهم بكل حب وصدق أننا نريد ما فيه صالحهم، ونعلمهم بكل ذكاء عاطفي قيمة الحياء والحب الحـقـيـقي داخل إطاره الشـرعي الراشد، وفي وقته، بعد تحصيل دراسي يسـمح لـهـم بزواج وأطفـال يعـيـشـون الاستقرارَ والأمانَ ودِفءَ الوالدين، لا بَرْدَ مـلاجئ وحـضـانـات من سـمـوا ظلمـا وبهتانا وتضليلاً ب"الأمهات العازبات" .

إن العالـم العربي الإسلامي يعيش مـوجـة انفـجـار جنسي رهيب، مـوجـة تصدعت معها قِيم وبِنْيات الاستحياء من الوالدين ومن العائلة ومن الجيران ومن الناس أجـمـعين ، فـهل سنزج بالمواطنين أجمعين وراء القضبان وأين هي الدعوة إذن بالتي هي أحسن؟؟.

هناك بلا شك مؤامرة كبرى لتفتيت لحُمة استقرار شعوب العالم الإسلامي اجتماعيا بعد أن تم تفتيتها جغرافيا وسـيـاسـيـا، والفتنة كَكُرة الثلج، تزداد شساعة يرافقها مَدٌّ من التطرف لا يقل ضررا، ويعـتـبـر أصحابه أن ما انتزع بالقوة لا يمكن أن يعود إلا بالقوة .. وأن المجـتـمـع جاهلي ووجب المفاصلة معه وتنفيذ القصاص فيه، فإلى من نترك أبناءَنا أمـــام مَـــدِّ الإفـــســـاد ومـــد الاستئصال؟؟

وبذلك، فإن هذه المناظر المُنَفِّرة تهدف بكل وضـوح إلى النيل مما هو مـجـمـع عليـه عند المغاربة من الثوابت الدينية والمسلمات الحضارية والقيم الإنسانية والأعراف المغربية التي يعيش في ظلها الجميع في أمن وسلام..

ولا نقول أخيرا إلا ما قال ربنا تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخـــــرة والله يعـلـم وأنـتـم لا تعلمون﴾(النور : 19).

ومضة

ذة. نبيلة عـزوزي

2- رحلة الصيف.. !

يتـبـاهى الأطفال بأسـفـارهم خلال العطلة الصيفية .. تمنى لو يرى البـحـر والجـبل وحـديقـة الحيـوان...ظل صامتـا .. سألوه عن وجهة سفره.. أجابهم:

– قـمت برحلة رائعـة صحبـة أبي!

– إلى أين ؟ماذا شاهدت...؟!

– إلى عـالم جـمـيـل.. شـاهدت السعادة تشع من عيني أبي وهو يقرأ ويكتب...

وجـمـوا صـامـتين.. اسـتطرد قائلا:

– أبي عـامل مـيـاوم.. نعـيش على الكفاف.. لا يستطيع تحمل نفقات سفرنا.. يعمل دون عطلة.. حين يعـود مساء، أعلمه الكتابة والقـراءة.. تغلب على أمـيـتـه.. صار يقـرأ الحـزب في المصـحف بعد صلاتي الصبح والمغرب في المسجـد.. بل حفظ جـزء عمّ في ظرف وجيز... وها نحن نقرأ معا كـتـابا رائعـا أهدانيـه أسـتـاذي بمناسبة نجاحي بتفوق...

ودعهم على عجل..

سألوه: ألا تلعب معنا؟!

أجابهم وهو يهرول:

– هـذا وقـت تـعـلـيـم أمـي .. سأعلمها كما علمت أبي...!

إصدارات - إصدارات

علماء فاس في اللغة والنحو

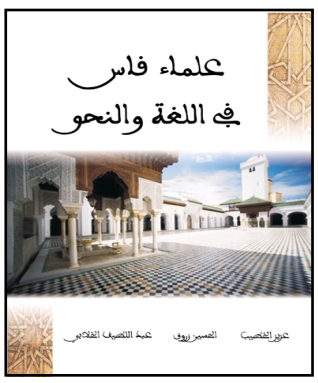

صـــدر بالعنوان أعـلاه تأليف جـمـاعي للدكاترة عزيز الخطيب والحسين زروق وعبـد اللطيف الخـلابي عن مطبـعـة آنفـو برانت ، وهو تأليف يتـضـمـن جردا وفهرسة لعلماء فاس العاصمة العلمية الذين " تلقـــوا العلم بالمؤسسات العلمـيـة الأصيلة كالقرويين أو على الشيوخ خارج المؤسسات وشهدت لهم المصادر بالعلم، .. ولهم صلة باللغة والنحو أو هما مـعـا سـواء أكـانت صلة تدريس فـقط أو صلة تأليف ، أم صلة تخـصص وتبـريز" وقد جـاء الكتـاب متضمنا لما يقرب من 340 ترجمة ، مرتبة ترتيبا ألفبائيا مع مقدمة وقائمة بالمصادر والمراجع ، وفهرس للأعلام المترجم لهم.

مجلة الدليل في إصدارها الأول

أصـــبـح للعلوم الإسلامية مجلة علمية مـحكمـة تعنى بتـاريخ العلوم الإســلامـيـة وفلسفـتـهـا، هي مجلة الدليل، التي أصـدرها مـــركـــز ابن البناء المراكـشي للبـحـوث والدراسـات في تاريخ العلوم في الحـضـارة الإسلامـية، وهو مـركـز تابع للرابطة المحمدية للعلماء، وتضمن العدد الأول ملفا تحت عنوان: العلوم الإسلامية والنظر الإبستمولوجي كـمـا تضـمـن أبوابا أخـرى تعلقت بدراسـات علمـيـة، وشخصيات علمية، ومتون علمية، وقراءات، وأعلام من التراث، ومفردات علمية، ونصوص مترجمة.

كليات في نقد القراءات القرآنية محمد أركون نموذجا

صدر للدكتور عبد القادر محجوبي كتاب جـديدا تحت العنوان أعلاه عن مطبعة آنفو برانت ويحـتـوي على خـمـسـة مـبـاحث مع مقدمة وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع

يقـــول المؤلف في خـــاتمة الكتـــاب إن المعطيـــات الفكرية والمفـاهيم التي انطلق منها أركون لدراسة الفكر الإسلامي والحديث عن القرآن وباقي العلوم الخادمة له أو التي كان منطلقها القرآن ، مفاهيم ومسلمات لها ظروفها العلمية والحضارية كانت وراء ظهـورها في الفكر الغـربي الممـتـدة جـذوره في المسـيـحـيـة والفكر الفلسـفي الأفـلاطوني والأرسطي والديكارتي بعدهما فالعلماني في العصر الحديث.

تعليم الصغار حفظ لأمر الدين

قال رجل للأعمش: هؤلاء الغلمان (طلبة العلم الصغار) حولك، كأنه ينكر عليه تضييع وقته معهم، قال: اسكت! هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك.

كيف أصبحت؟

قيل لمحمد بن واسع : كيف أصبحت؟ قال : أصبحت ـ والله ـ طويلا أملي، قصيرا أجلي، سيئا عملي

● البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي(414هـ) 225/5

قيمة السفر وأثره في التعليم والتعلم

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج هم، واكتساب معيشة
وعلم، وآداب، وصحبة ماجد
فإن قيل ففي الأسفار ذل وغربة
مشقة حمل،وارتكاب شدائد
فموت الفتى خير له من حياته
بدار هوان بين واش وحاسد

● ديوان الشافعي

صلاح الحال هو الأصل

– يقول ابن عطاء الله السكندري: "حال رجل في ألف رجل خير من حال ألف رجل في رجل واحد".

– يقول أبو العزائم: "إذا كان الكلام عن النور حدث لسامعه السرور"

– "إذا رأيت الرجل يشطح لسانه في مزيته!! فاعلم أن ذلك من نقص عبوديته"

● كيف تكون على بصيرة : فوزي محمد أبو زيد، دار الإيمان والحياة

الإنصاف في الخلاف بين العلماء

سأل محمد بن الحسن الشيباني (صاحب أبي حنيفة) الشافعي عن الإمام مالك،

فقال محمد بن الحسن: أيهما أعلم بالقرآن صاحبنا (يقصد أبا حنيفة) أم صاحبكم (يقصد الإمام مالك)؟

فقال الشافعي: على الإنصاف؟

قال : نعم

قال الشافعي: فأنشدك الله! من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم؟

قال محمد: صاحبكم (يعني مالكا)

قال الشافعي: فمن أعلم بالسنة صاحبنا أم صاحبكم؟

قال محمد : اللهم صاحبكم

قال الشافعي: فأنشدك بالله! من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ والمتقدمين صاحبنا أو صاحبكم؟

قال محمد: صاحبكم

قال الشافعي: فم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على أصل، فمن لم يعرف الأصول فعلى أي شيء يقيس؟

● كتاب الجرح والتعديل أبن أبي حاتم الرازي ط1، 1/13-12

من علامات الجهلاء

عن محمد بن منصور الطوسي قال: يعرف الجاهل بالغضب في غير شيء، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، والعظة في غير موضعها.

● سير أعلام النبلاء 12/ 214-213

فضيلة التفكر والمناظرة

كل من تحير في أمر قد اشتبه عليه واستبهم أخرجه من الحيرة فيه أن يسأل ويناظر ثم يفكر ويعتبر.

● تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة

فضيلة الصبر والتأني

عن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال :

اِصبر على مضض الإدلاج بالسحر
وفي الرواح على الحاجات والبُكَر
لا تضجرن ولا يُعجزك مطلبها
فالنجح يتلف بين العجز والضجر
إني وجدت ـ وفي الأيام تجربة ـ
للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يحاوله
فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

● المحاسن والمساوئ: إبراهيم بن محمد البيهقي

مراعاة مستوى المتعلمين والمخاطبين

– قال عليٌّ رضي الله عنه : «حدِّثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرونَ، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله».

–وقال ابن مسعود رضي الله عنه :«ما من رجل يُحدِّثُ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنةً لبعضهم».

– وقيل: كلْ لكلِّ عبدٍ بمعيار عقله، وزنْ له بميزان فهمه، حتى تسلم منه، وينتفع بك، وإلا وقع الإنكارُ لتفاوت المعيار.

● إحياء علوم الدين 1/56-55

من أتاك بحق فاقبله منه

قال رجل لابن مسعود أوصني بكلمات جوامع، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أتاك بحقٍّ فاقبلْ منه وإن كان بعيداً بغيضاً، ومن أتاك بالباطل فاردُدْه وإن كان قريباً حبيباً.

● الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم: 586/4، عن كتاب "فقه الائتلاف" محمود الخزندار ص98.

ما أعقله من رجل!! ... فلم غلبتنا الجهالة؟!

ذكر عن حاتم الأصم أنه قال :" معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه.

فبلغ ذلك الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ فقال : سبحان الله! ما كان أعقله من رجل!

فقال الأمام الغزالي معلقا على الموقفين معا: فَلِمَ غلبتنا الجهالة وحلت محل العقل، وصرنا نجهل على الحليم، ونحزن لصوابه، ونفرح لزلته؟!

أصل الخير والشر

أصل كل خير : هو العلم والعدل، وأصل كل شر : هو الجهل والظلم .

● الفوائد لابن القيم

من معاني لفظ العلامة

يقال هذه علامات النصر ، وأماراته ، وتباشيره، ومخايله، وأشراطه، وأعلامه، وشواهده، وشواكله،

ويقال شمت مخايل الشيء إذا تطلعت محوه ببصرك منظرا له، وشمت البرق أشيمه إذا ترقبت مطره،

وهذه علامات بينة، وأعلام لامعة ودلائل ناطقة، وشواهد صادقة، ومخايل نيرة، ومعالم ناصعة ولائحة مسفرة

ويقال : صححت ذلك بالحجج الواضحة، والشواهد الصادقة، والدلايل الناطقة، واللوائح المسفرة،

ويقال : أظهرْ ما عندك من حجة وبينة وعلة ومتعلق وشاهد ودليل وبرهان وحقيقة.

ويقال وضع للحق أعلاما لا تشتبه، وبنى له منارا لا ينهدم ، وإنما حاول فلان أن يدرس الدين ويطَمِّس أعلامه.

وسأل رجل النظام : ما الأمور الصامتة الناطقة؟

فقال : الدلائل المخبرة والعبر الواعظة

● كتاب الألفاظ : لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني، ص.173

فضل التعلم والتفقه

قال الشاعر :

تعلم فإن العلم زين لأهله
وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة
من العلم واسبح في بحور الفوائد
تفقه فإن الفقه أفضل قائد
إلى البر والتقوى وأعدل قاصد
فإن فقيها واحدا متورع
أشد على الشيطان من ألف عابد

● تعليم المتعلم طريق التعلم :برهان الدين الزرنوجي

من وصايا عالم

من وصايا موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف الموصلي ابن اللباد قال :

ينبغي أن تكون سيرنك سير ة الصدر الأول، فاقرأ السيرة النبوية، وتتبع أفعاله، واقتف آثاره، وتشبه به ما أمكنك، من لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم، ومن لم يكدح لم يفلح، إذا خلوت من التعلم والتفكر فحرك لسانك بالذكر، وخاصة عند النوم، وإذا حدث لك فرح بالدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال، وكثرة المنغصات، إذا حزبك أمر فاسترجع، وإذا اعترتك غفلة فاستغفر، واعلم أن للدين عبقة وعرقا ينادي على صاحبه، ونورا وضيئا يشرف عليه ويدل عليه،

● سير أعلام النبلاء 322/22

من فقه عمر بن عبد العزيز في اختلاف الصحابة

روي أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله عندما ذكر له اختلاف الصحابة قال: "ما يسرُّني أن أصحابَ رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قولٍ فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجلٌ بقول هذا، ورجلٌ بقول هذا كان في الأمر سعةٌ".

● فتاوى ابن تيمية 80/30.

بين طلب الخير وترك الشر

قال يحيى بن معاذ :

طلب الخير شديد، وترك الشر أشد منه، لأن ليس كل الخير يلزمك عمله، والشر كله يلزمك تركه

● لباب الآداب لابن منقذ، ص.339

''الإيجازُ'' و''جَوامِعُ الْكَلِمِ'' صِفَتانِ في الْقُرْآنِ والْحَديثِ

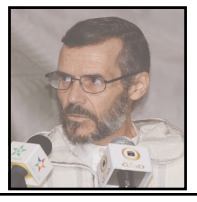

د. عبد الرحمان بودرع

ذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يَتَكَلَّمُ بِالْقَوْلِ الْموجَزِ الْقَليلِ اللَّفْظِ الْكَثيرِ الْمَعاني، وجَزَمَ غَيْرُ الزُّهْرِيِّ بِأَنَّ الْمُرادَ بِجَوامِعِ الْكَلِمِ الْقُرْآنُ، بِقَرينَةِ قَوْلِه "بُعِثْتُ". والْقُرْآنُ هُوَالْغايَةُ في إيجازِ اللَّفْظِ واتِّساعِ الْمَعاني .

قالَ ابْنُ حَجَرٍ: والرّاجِحُ عِنْدَ الْبُخارِيِّ أَنَّ الْمُرادَ بِجَوامِعِ الْكَلِمِ الْقُرْآنُ، ولَيْسَ ذلكَ بِلازِمٍ؛ فَإِنَّ دُخولَ الْقُرْآنِ في قَوْلِه : "بُعِثْتُ بِجَوامِعِ الْكَلِمِ" لا شَكَّ فيه، وإِنَّما النِّزاعُ هَلْ يَدْخُلُ غَيْرُهُ مِنْ كَلامِه مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ؟ قالَ أَبوعَبْد الله: وبَلَغَني أَنَّ جَوامِعَ الْكَلِمِ أَنَّ اللهَ يَجْمَعُ لَهُ الأُمورَ الْكَثيرَةَ، التي كانَتْ تُكْتَبُ في الْكُتُبِ قَبْلَهُ، في الأَمْرِ الْواحِدِ والأَمْرَيْنِ ونَحْوِذلك(1) .

وقد ذَكَرَ عُلَماءُ البلاغَة(2) أنّ الكلامَ الموجَزَ اعتنتْ به فُصَحاءُ العَرَبِ وبُلَغاؤُها؛ فإنهم كانوا إذا قَصَدوا الإيجازَ أتَوا بألفاظٍ استغْنَوا بواحدها عَن ألفاظٍ كَثيرة، كَأدَواتِ الاسْتِفهامِ والشَّرْطِ وغَيرِ ذلك، فَغالبُ كَلامِ العَرَبِ مَبنيٌّ عَلى الإيجازِ والاخْتِصارِ وأداءِ المَقْصودِ مِنَ الكَلامِ بأقلِّ عِبارة .

ولكنّ الإيجازَ في أعلى مراتبه، ما نَطقَ به القرآنُ الكَريمُ في الآيَةِ الواحِدة والآيتينِ وبَعضِ الآيات ؛ فإن الآيةَ الواحِدةَ تقومُ في بُلوغِ الغَرَضِ وتَوفيةِ المقاصدِ بما لا تَقومُ به الكُتُبُ المُطوَّلةُ والأدِلَّةُ القاطِعَةُ، فمَن أرادَ أن يَعْرِفَ جَوامِعَ الكلمِ ويتنبّهَ إلى فَضلِ الإعجازِ وكفايةِ الاخْتِصارِ والإيجاز، فليتأمّلْ قولَه تَعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة : 179). لقدْ عُبِّرَ عن هذا المَعنى بألفاظٍ أخْرى أكْثرَ عَدداً، ولكنّها لا تَرْقَى إلى بَلاغةِ الإيجازِ القرآنيّ؛ فَهذا المَعنى القرآنيُّ لا يُمْكنُ التّعْبيرُ عنه إلاّ بألفاظٍ كَثيرة؛ لأنّ مَعناه أنّه إذا قُتِلَ القاتلُ امتَنعَ غيْرُه عَن القَتلِ فأوْجبَ ذلك حَياةً للناس، ولا يُلتفَتُ إلى ما وَرَدَ عَن العَرَبِ مِنْ قَولِهم : «القَتلُ أنْفى للقَتْل» فإنّ مَن لا يَعلمُ يظنُّ أنّ هذا على وزنِ الآية، وليس كذلك، بل بينهما فرقٌ من ثلاثة أوجه : الأول أنّ "القصاص حياة" لفظتان، و"القتل أنفى للقتل" ثلاثةُ ألفاظٍ، الوجه الثاني : أنّ في قولهم "القتل أنفى للقتل" تَكريرًا ليس في الآية، الثّالث أنّه ليس كلُّ قتلٍ نافيًا للقتلِ إلا إذا كان على حُكمِ القِصاص(3) فلفظُ القرآنِ الكريم لفظٌ وجيزٌ مُعجزٌ مُخْتَصرٌ، وغايةٌ في الإيجازِ والإيضاحِ وحُسْنِ البيانِ

ومِنْه قَولُه تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى، ويَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ، يَعظُكُم لَعَلَّكُم تَذكَّرون﴾(النحل : 90)، وَعظَ في ذلك بألطفِ مَوعظةٍ، وذَكَّرَ بألطفِ تَذكرةٍ، واسْتَوعَبَ جَميعَ أقسامِ المَعروفِ والمُنكرِ، وأتى بالطِّباقِ اللَّفظيِّ والمعنويِّ، وحُسنِ النَّسَقِ وحُسنِ البَيانِ والإيجاز، وائتلافِ اللّفظِ ومعناه... وقولُه تَعالى: ﴿إِنَّ الذِينَ قالوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقاموا تَتَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ المَلائكَةُ﴾(فُصِّلت : 30)، "اسْتَقاموا" كلمةٌ واحدةٌ تُفْصِحُ عن الطّاعاتِ كلِّها في الائْتمارِ والانْزجار .

وقَولُه تَعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هُمْ يَحْزَنون﴾(يونس : 62)، فقد أدْرَجَ فيه إقبالَ كلِّ محبوبٍ عليهم، وزوالَ كلِّ مكروهٍ عنهم(4)، ولا شيءَ أضرُّ بالإنسانِ من الحزنِ والخوف؛ لأنّ الحزنَ يتولَّدُ من مكروهٍ ماضٍ أوحاضرٍ، والخوف يتولَّد من مكروهٍ مُسْتَقبَلٍ، فإذا اجْتَمَعا على امرئٍ تَبَرَّمَ بحياته. والحُزْنُ والخوفُ أقوى أسبابِ مَرضِ النَّفس، كَما أنّ السُّرورَ والأمنَ أقوى أسبابِ صحَّتِها(5).

وقَوله تَعالى : ﴿أَوْفُوا بِالعُقودِ﴾(المائدة : 1)، فهُما كَلمتانِ جَمَعَتا ما عقدَه الله على خَلْقِه لنفْسِه، وتَعاقدَه النّاسُ فيما بينهم(6).

وقد وَرَدَت في القُرآنِ الكَريمِ عِباراتٌ كثيرةٌ جَمَعت مِنَ الإيجازِ والإعْجازِ ما جَعَلَها تَجْري مجْرى الأمثالِ المُتَداوَلَة بَينَ النّاس، كَقولِه تَعالى : ﴿وَلا يَحيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بأهلِه﴾(فاطر : 43)، وقَوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَت رَهينَةٌ﴾(المدثّر : 38)، وقوله: ﴿كلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموت﴾(آل عمران : 185)، وقوله: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾(الأنعام : 67)، وقولِه : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِه﴾(الإسراء : 84)، وقولِه: ﴿ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾(الأنعام : 164)، وقَوله : ﴿وَلاَ يَحيقُ المكرُ السَّيِّءُ إلاّ بأهلِه﴾(فاطر : 43). فكانَ إيجازُ البَيانِ النَّبَويِّ وجَوامِعُ كَلمِه منْ إيجازِ القُرآنِ وبَلاغتِه وجَوامِعِ كَلمِه، يَدُلُّ على ذلكَ قَوْلُه تَعالى: ﴿وما كُنْتَ تَتْلُومِنْ قَبْلِه مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ المُبْطِلُونَ﴾(العَنْكبوت : 48).

ومِنْ أَمْثلَة "الموجَزِ من الحَديثِ وجَوامِعِ الْكَلِمِ"، حَديثُ عائشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها: «كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْه أَمْرُنا فَهُوَرَدٌّ»(7)، وَحَديثُ : «كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ في كتابِ الله فَهُوَباطِلٌ»(8)، وَحَديثُ أَبي هُرَيْرَةَ : «وَإِذا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ»(9)، وحَديثُ المِقْدامِ : «ما مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعاءً شَرًّا مِنْ بَطْنه»(10)، وحديثُ : «النّاسُ كإبِلٍ مائةٍ لا يجدُ الرّجُلُ فيها راحلةً»(11)، وحديثُ: «كَما تَكونونَ يُوَلّى عَليكُم»(12)، إلى غَيْرِ ذلكَ ممّا يَكْثُرُ بالتّتَبّع. وإنّما يَسْلَمُ ذلكَ فيما لَمْ تَتَصَرَّف الرُّواةُ في أَلْفاظِه، والطَّريقُ إلى مَعْرِفَة ذلكَ أَنْ تَقِلَّ مَخارِجُ الحَديثِ وتَتَّفِقَ أَلْفاظُهُ، وَإِلاّ فَإِنَّ مَخارِجَ الحَديثِ إِذا كَثُرَتْ قَلَّ أَنْ تَتَّفِقَ أَلْفاظُهُ لتَوارُدِ أَكْثَرِ الرُّواةِ عَلى الاقْتِصارِ عَلى الرِّوايَةِ بِالْمَعْنى، بِحَسَبِ ما يَظْهَرُ لأَحَدِهِمْ أَنَّهُ وافٍ بِه، وَالحامِلُ لأَكْثَرِهِمْ عَلى ذلكَ أَنَّهُمْ كانوا لا يَكْتُبونَ، ويَطولُ الزَّمانُ فَيَتَعَلَّقُ المَعْنى بِالذِّهْنِ، فَيَرْتَسِمُ فيه، ولا يَسْتَحْضِرُ اللَّفْظَ، فَيُحَدِّثُ بِالْمَعْنى لِمَصْلَحَةِ التَّبْليغِ، ثُمَّ يَظْهَرُ مِنْ سِياقِ ما هُوَأَحْفَظُ مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يُوَفِّ بِالْمَعْنى(13).

1- انْظُرْ شَرْحَ حَديثِ "جَوامِعِ الكَلِمِ" في (فَتْحِ الباري : 12/418) كِتاب التَّعْبير : باب الْمَفاتيحِ في اليَدِ .

2- انظر : (الإعجاز والإيجاز: 15) لأبي منصورٍ عبد الملك بن محمّدٍ الثّعالبيّ (ت.429)، تح. محمّد إبراهيم سَليم، مكتبةُ القرآن للطّبع والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1999، و(صبح الأعشى في صناعة الإنشا:2/360-359) لأحمد بن عليّ القلقشديّ (ت.821)، تح. د. يوسف علي الطّويل، دار الفكر، دمشق، ط.1 / 1987. و(البيان والتّبيين: 1/370) لأبي عُثمانَ عَمْروبْن بحرٍ الجاحظ (ت.255) تح. عبد السّلام هارون دار الفكر بيروت، ط.4، و(المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر: 2/118-117) لضياء الدّين بن الأثير

3- انظر التّفصيل في]المثل السّائر: 2/-117 118.

4 -الإعجاز والإيجاز: 15.

5 -الإعجاز والإيجاز: 15.

6- الإعجاز والإيجاز:16.

7- وردَ في (صحيح مسلم: 3/1343) في باب نَقْض الأحكام الباطلة ورَدّ مُحْدَثات الأمور، وفي (صَحيح البُخاري: 2/959) في باب: إذا اصْطَلَحوا على صُلْحِ جَوْرٍ فالصُّلْحُ مَرْدودٌ

8- (صَحيح البُخاري: 2/981) بابُ المُكاتب وما لا يَحِلُّ مِنَ الشُّروط التي تُخالفُ كتابَ الله، وقالَ جابرُ بنُ عبد الله رضي الله عنهما في المُكاتب : شُروطُهُم بَيْنَهُمْ، وقالَ ابنُ عُمَرَ أوعُمَرُ : كُلُّ شَرْطٍ خالَفَ كتابَ الله فَهوَباطلٌ وإن اشْتَرَطَ مائةَ شَرْطٍ. وفي البابِ أيضاً : عَن عائشَةَ رَضيَ الله عَنها قالتْ : أتَتْها بَريرَةُ تَسْألُها في كِتابَتِها فَقالَتْ : إنْ شئْتِ أعْطيتُ أهْلَكِ ويَكون الوَلاءُ لي، فَلَمّا جاءَ رَسولُ اللهِ ﷺ ذَكرَتْه ذلكَ قالَ النّبيُّ ﷺ : ابْتاعيها فَأعْتِقيها فإنما الوَلاءُ لمنْ أعْتَقَ، ثُمَّ قامَ رَسولُ الله ﷺ على المنبرِ فَقالَ: ما بالُ أقْوامٍ يشْتَرِطونَ شُروطاً لَيسَتْ في كتابِ الله ؟ مَن اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيسَ في كِتابِ الله فَلَيسَ لَه وإن اشْتَرَطَ مائةَ شَرْط .

9- (صَحيح مُسلم: 2/975)، بابُ فَرضِ الحجِّ مَرةً في العُمُرِ : عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قالَ : خَطَبَنا رَسولُ الله ﷺ فَقالَ: أيُّها الناس قَدْ فَرَضَ الله عَليكُم الحجَّ فَحُجّوا، فَقالَ رَجلٌ أكُلَّ عامٍ يا رَسولَ الله؟ فَسَكَتَ حَتى قالَها ثَلاثاً فَقالَ رَسولُ الله ﷺ لوقُلتُ نَعَمْ لَوَجَبَت ولَما اسْتَطَعْتُمْ ثم قالَ ذَروني ما تَرَكْتُكُمْ فإنّما أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُم بِكَثْرَةِ سُؤالِهِمْ واخْتلافِهم عَلى أنبيائِهم، فإذا أمَرتُكُم بشيءٍ فَأتوا مِنْه ما اسْتَطَعْتُم وإذا نَهَيْتُكُم عَن شيءٍ فَدَعوه .

10 - (المُسْتَدْرَك عَلى الصَّحيحَيْن: 4/367) : عَنِ المِقدامِ بنِ مَعدي كَرِب سِنانٍ رضي الله عنه يَقول سَمعتُ رَسول الله ﷺ يَقولُ: «ما مَلأَ آدميٌّ وِعاءً شَرّاً منْ بَطنه، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ ثَلاثُ أكلات يُقِمْنَ صُلْبَه فإنْ كانَ لا مَحالَةَ فثُلُثٌ لطَعامه وثُلثٌ لشَرابِه وثُلثٌ لنَفَسه». قالَ الحاكمُ : هَذا حَديثٌ صَحيحُ الإسْنادِ وَلَمْ يُخْرِجاه.

11- (صحيح مسلم: 4/1973) : بابُ قَوله ﷺ : النّاسُ كإبلٍ مائةٍ لا تَجدُ فيها راحلَةً . عن ابن عُمَرَ قالَ: قالَ رَسولَ اللّه ﷺ : «تَجِدونَ النّاسَ كَإبلٍ مائةٍ لا يَجدُ الرَّجلُ فيها راحلَةً».

12- (مُسْنَد الشّهاب: 1/336) لأبي عبد الله القاضي القضاعي مراجعة: حمدي بن عبد المجيد السّلفي، ط.2/ بيروت 1986-1407. و(الفِرْدَوْس بماثورِ الخطاب: 3/305) لابْنِ شيرويْه الدّيلميّ الهمذاني (ت.509)، تح. السّعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط.1، 1986

13- أُنْظُرْهُ بِنَصِّه وبِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصيلِ في:]فَتْح الْباري: 12/262-261) كِتاب الاعتصام . وانظر التّحقيقَ في هذه المسألة كِتابَ : (تاريخ الاحْتِجاج النَّحْويّ: -318...).

بِنَبْضِ القلب

كلام بسيط في العقيدة

من طبعي أن أحب البساطة في كل شيء، بما في ذلك التمكين لفكري ومعتقداتي، لذا كنت أتحرى كثيرا حين أقرأ أو أسمع لأي كاتب أو عالم وهو يخوض في بيان أسس عقيدة المسلم، ولاسيما إذا كان من المطنبين أو المغالين في بسط مفهوم العقيدة، حتى يخيَّل للبسطاء من الناس أن عقولهم لا تحتمل كل هذا الكلام... في حقيقة الأمر أن عقيدة الإسلام هي من أبسط العقائد، وبدون الخوض في دقائق الأمور، يمكن القول إن وحدانية الله عز وجل والتي هي المرتكز في عقيدتنا لا تستوجب كل هذا الكم من الحبر ومن الكلام، فربوبيته وألوهيته سبحانه وتعالى تتحدد في كونه سبحانه واحد أحد، ليس كمثله شيء، وقادر على أن يفعل ما يشاء، وقت ماشاء، وكيفما شاء... وبذلك فالإنسان وسائر المخلوقات تخضع لمشيئته وجبروته، وتحضرني في هذا المقال، قصة طريفة لأعرابية بسيطة، لم تعرف سوى الصحراء مرسما، أنها صادفت يوما أحد المتعالمين وهو يحمل فوق ظهر بعيره كما هائلا من الكتب، فسألته بغرابة عن سر هذه الحمولة، فرد عليها بشموخ العارفين بالله : إن فوق ظهر هذا البعير ما يزيد على ألف كتاب كلها تؤكد على وحدانية الله عز وجل.

فردت العجوز ضاحكة : يا سبحان الله على عمائك، كيف تغيب عنك وحدانية الله عز وجل في كل هذا الكون البديع، وتبحث عنها في حمْل بعير.. وأكتفي بهذا الكلام حتى لا أُحَمِّل عقلي البسيط ما لا يحتمل.

ذ. أحمد الأشهب

مقاصد اللباس 6

د. حسن الآمراني

المقصد الاقتصادي :

كان لي جار يوم كنت أستاذا بالمدينة المنورة، وهو عامل عربي، كان أحد حراس العمارة، وكنا في بعض الجلسات نتبادل أطراف الحديث في حوار أخوي حميم: قال لي ذات يوم إنه سيعود إلى بلاده ويفتح محلا تجاريا، فلا يكون لأحد عليه يد. فسألته عن نوع التجارة التي ينوي ممارستها، فقال بلا تردد: إما مطعم وإما محل لبيع الملابس. فسألته: «ولم وقع اختياره على هذين النوعين التجاريين بالضبط؟ وما العلاقة بينهما؟ فأجاب على الفور: «كل الناس تأكل، وكل الناس تلبس». وتأملت فوجدته قد نطق بالحق، فكل التجارات الأخرى قد تحتاجها طائفة دون طائفة، أو تحتاجها كل الطوائف ولكن في فترات معينة. أما الطعام واللباس فهما يلازمان كل إنسان في كل زمان وفي كل مكان. وهذه هي الحقيقة التي نطق بها الله تعالى منذ الأزل، إذ خاطب آدم قائلا: ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾(طه: 118). فاقترنت نعم الطعام بنعمة اللباس، ولم يقل تعالى: ﴿إنك لا تجوع فيها ولا تعرى﴾ بل قال سبحانه من حكيم: ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾. وعبارة ﴿إن لك﴾ تدل على أنها منة من عند الله تعالى، ووعد منه لآدم. فحاجة الإنسان للباس كحاجته للطعام، **وإذا كان بعضهم يدين «صناعة الجوع» فإن لنا أن تستنكر أيضا «صناعة العري»**. والاقتصاد العالمي يقوم بشكل أساسي على هذين الصنفين: الغذاء والكساء. كل شيء مخلوق مكسوّ فطرة، من الحيوان والطير والنبات، فكيف نحرم الإنسان الذي كرمه الله عز وجل من حقه في الكساء؟

وإن عجلة الاقتصاد التي لا تتوقف أبدا تجعل من اللباس أحد أهم محركاتها، وبدورانها يتحقق الطعام لكل فم، واللباس لكل جسد.

يقول توماس كارلايل، ونحن ما نفتأ نستشهد بأقواله لأنه أحد أهم من عالج موضوع الملابس، في كتابه: (فلسفة الملابس41): «أليس من العجب الطريف أن نرى خمسة ملايين قنطار من الخرق تلتقط من المزابل كل عام، بعد أن تمزق وتكبس وتذاب، وتهيأ ورقاً وتطبع وتباع، تعود إلى المزبلة مرة أخرى، فتكون في أثناء هذا الطوفان، قد أطعمت ألوفا من البطون الجائعة».

هذا العدد من الملايين يناسب عصر كالرلايل، فكيف لو عاش في عصرنا هذا؟ أن الرقم دون شك سيصير أضعافاً مضاعفة.

هذه معامل النسيج لا تفتر أبدا عن الحركة، فيتحرك بحركتها دولاب الاقتصاد، وتتحرك معها مجموعة من الصناعات والحرف الأخرى، من الرفاء إلى الصباغ إلى الكواء...

وتنشط الأيدي العاملة في حرف أخرى، ليتحقق قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(الزخرف: 32). أي ليكون بعضهم مسخرا لخدمة بعض.

ومعلوم أن التنافس الاقتصادي بين الأمم على أشده، ويؤثر بعضهم أن يتحدث عن "الحرب الاقتصادية"، وينقل إليه جميع مصطلحات الحرب، فهذا حصار اقتصادي، وهذا هجوم اقتصادي، وهذه وقاية اقتصادية، وهكذا... وكان الاقتصاد باباً من أبواب مد جسور التلاقح الاقتصادي، أو وجها من أوجه التدمير، ويكون اللباس في قلب هذا الخضم الاقتصادي، ونحن نعلم على سبيل المثال ما تصنعه سراويل (الجينز) من ثورة اجتماعية، لا تمس الاقتصاد وعلاقات الإنتاج فحسب، بل تمس أيضا منظور القيم وميزان الأخلاق... وقد أصدرت دار النشر الفرنسية «مشال لافون» كتابا حول تاريخ "البنطلون الجينز" بعنوان «أسطورة البنطلون الجينز»، من إعداد كل من (جيل لوت) و(بياتريس نوفو). وهو يقدم أول بنطلون جينز، ماركة «البكايز» منذ 150 عاما، صممه شاب من إقليم بافاريا، ليرتديه الباحثون عن الذهب، ثم أثبت أنه أفضل رداء للعمل على سطح الأرض، ويضم الكتاب صورا لعاشقي ارتداء الجينز من الفنانين والمطربين وغيرهم، (ينظر: جريدة أخبار الأدب العدد 549، الأحد 25 من ذي القعدة 1424 هـ، الموافق 18 من يناير 2004).

وقد كان منطلق معركة غاندي التحررية كما رأينا هو (المغزل)، بما له من دلالة اقتصادية واجتماعية وروحية. وعندما رفع شعار: (ناكل مما نزرع ونلبس مما نصنع)، في وجه أكبر إمبراطورية آنذاك، بريطانيا، كانت تلك قاصمة الظهر لهذه الامبراطورية، حيث إن الاقتصاد كان هو (حصان طروادة) الذي ركبته بريطانيا، سبيلا إلى نشر ثقافتها وقيمها، وبسط هيمنتها على القارة الهندية، فلما عرف غاندي كيف يشل حركة العجلة الاقتصادية، بإعلانه الاكتفاء الذاتي، بهذه الوسيلة البسيطة المتمثلة في مغزل (الملبس) وعنزة (المطعم)، لم يبق أمام دهاقنة الاستعمار البريطاني إلا أن يشدوا أحزمة حقائبهم وأن يرحلوا نهائيا عن درة التاج البريطاني: الهند.

وقد تقصى الدكتور محمد إبراهم في كتابه الآنف الذكر عن تطور الملابس في المجتمع المصري، موضوع الملابس والحياة الاقتصادية، فتحدث عن خامات المنسوجات، من الكتان إلى القطن إلى الصوف إلى الحرير، وعن مراكز صناعة المنسوجات، وعن دور الطراز، مثل دار الكسوة، ودار الديباج، وعن صناعة الملابس وأثرها في تطور المجتمع، وعن تجارة المنسوجات وألوانها، فليرجع إليه من يرغب في التوسع في هذا الباب.

ولن نغلق هذا الباب دون الإشارة إلى العلاقة بين الاقتصاد والقيم، في ميدان الملابس، وكيف يكون الانتصار للاقتصاد على القيم أحيانا ، إيذانا بالانهيار، والمطلوب هو التوازن بين هذا وذاك.

ويعرف المهتمون موقف زعيم ثورة الصين ما وتسي تونغ من اللباس، حيث أعلن انتصاره لموضة (الميني جيب)، لا لشيء إلا لأن هذا اللباس في نظره يمثل نوعا من التقشف والاقتصاد في القماش، وماعلم أن موضة (الميني جيب) لم تكن ضرباً للقيم والأخلاق فقط، بل كانت ضرباً للاقتصاد أيضا، حيث كان هذا اللباس باباً لقبول نمط المجتمع الاستهلاكي الغربي، فإذا كانت (الميني جيب) تمثل نوعاً من الاقتصاد في القماش، فإنها فتحت باب تحويل المرأة إلى سلعة، عليها أن تستهلك كل أدوات الزينة الظاهرة، من أحمر الشفاه إلى أحمر الأظافر، إلى غير ذلك مما تحتاج إليه المرأة المتبرجة التي نسيت جمالها الباطني الذي يجعلها درة على الرؤوس: (ولباس التقوى ذلك خير)، وحولها إلى دمية تستهوي الناظرين من الفسقة والفجار.

وقد نظر الإسلام إلى زينة الملابس نظرة اعتدال، في غير ما سرف ولا مخيلة: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(الأعراف: 32)، وقد رأينا من قبل كيف أقر الرسول ﷺ الرجل الذي سأل عن الثياب الحسن والنعل الحسن، فاعتبر عليه السلام ذلك من مظاهر الجمال: «إن الله جميل يحب الجمال»، ولكنه نهى عن الإسراف في زينة اللباس، كما نهى عن الإسراف في كل شيء. قال تعالى: ﴿ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾(الأنعام: 141- الأعراف: 31). وقال الرسول ﷺ : «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير ما إسراف ولا مخيلة»(صحيح البخاري: كتاب اللباس).

وعن البراء رضي الله عنه قال : «نهانا رسول الله ﷺ عن لبس الحرير، والديباج، والقسّي، والاستبرق، والمياثر الحمر».

والديباج والاستبرق صنفان نفيسان من الحرير، وأما المياثر فهي جمع ميثرة...كانت من مراكب العجم من ديباج وحرير. وقال الطبري: هي وعاء يوضع على سَرْج الفرس أو رحل البعيرة من الأرجوان. وحكى في (المشارق) قولاً أنها سروج من ديباج، وقولاً إنها أغشية للسروج من حرير، وقولا إنها تشبه المخدة تحشى بقطن أو ريش يجعلها الراكب تحته، وهذا يوافق تفسير الطبري (فتح الباري: 307/10) ومن شأن إسراف الرجل في اللباس أن يبعث الوهن في روحه وفي جسده، والأمة بحاجة إلى رجال، لا إلى مخنثين. والتخنث مدعاة إلى الكسل والبطالة والضعف عن الإنتاج، وكل ذلك مما يؤدي إلى انهيار القيم وانهيار الاقتصاد على السواء. وقديما قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجد
مفسدة للمرء أي مفسده

والحياء من أعلى القيم وأغلاها. ولكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء. ولو نظرنا إلى دور الأزياء لوجدنا أن الزينة التي تطلبها إنما يراد منها هدم الحياء. فلذلك شاعت مظاهر (الكاسيات العاريات المائلات المميلات).

يقول كارلايل: «الملابس هي المصدر والمنشأ لفضيلة الحياء، ذلك الهيكل الظليل المحجب الذي يضم بين جوانحه كل مقدّس في الإنسان» ص. 38 م.م.

والخلاصة أنه عندما تختل القيم تقلب الموازين ويضطرب كل شيء. هل يستطيع أن يزعم زاعم أن العراة، وأشباه العراة، من الشعوب البدائية، هم أحسن حالاً في اقتصادهم من غيرهم؟ ذلك ما لا يقول به عاقل منصف. إن فلسفة العري تعطيل للإنتاج، وهي خراب اقتصادي، فضلا عن الخراب الروحي الخطير.

إلى أن نلتقي

الغش مرة أخرى !

أمْرُ الغش أمْرٌ مُقلق ومزعجٌ، وما ظهر في مجتمع وانتشر إلا ودمّر بنياته التحتية المعنوية التي يقوم عليها في بناء غده ومستقبله، وخاصة إن كان هذا الغش في مجالٍ حيوي مثل مجال الصناعة والتجارة، أو في مجال أكثر خطورة مثل مجال التربية والتعليم.

قبل أسابيع نظمت وزارة التربية الوطنية مباراة لولوج مراكز التكوين. وأولاً أقول إنه في تقديري فإن هذه المباراة، من حيث الشكل، متميزة من عدة جوانب:

فهي، أولاً، أولُ مباراة من نوعها تجري على المستوى الوطني - حسب ما أعلم - تُفتح أمام العموم دون مراعاة للميزات التي حصل عليها الطالب. وهو أمر مهم لأني كنت وما زلتُ أعتقد أن الميزات وحدها ليست دائما معيارا للحكم على مستوى الطالب، فكم من طالب لا ميزة له متفوق علميا على من له عدة ميزات. ولعل من أسباب الحصول على هذه الميزات التي تترجم المستوى الحقيقي لأصحابها، انتشار الغش في العديد من الامتحانات، مما يجعل شرائح من الطلبة تحصد عدة ميزات لا مبرر لها ولا أساس إلا اعتماد الغش منهجا في الامتحان.

ثم إن هذه المباراة، ثانيا، ضخمة من حيث العَدَد، ولذلك جُنِّد لها طاقم إداري وتربوي كبير، من أجل أن تمر المباراة وتَبعاتُها في ظروف جيدة، على الأقل وفق ما أُعلن عنه.

لكن هل كان الأمر كذلك؟

لاَ بالطبع !

لقد تحدث المتبارون - والعُهْدَة على الراوي كما يقال، لكن كما يقال أيضا، لا دخان بدون نار - عن أن عددا من المراكز شابَها ما شابها من الغش الفاضح، حيث استعان العديد من المترشحين بهواتفهم المحمولة المرتبطة بالشابكة(الأنترنت) ليضعوا من خلالها أسئلة الامتحان على "العلامة كوكل" وليجيبهم هذا بسرعته الفائقة المعهودة عما سألوه، خاصة وأن الأسئلة الموضوعة أمَامَها خيارات لمعرفة الجواب المناسب. مما يجعل اقتناص الجواب الصحيح أمراً سهلا.

نعم، هكذا تحدث المتبارون الرافضون للغش، عن زملائهم الممارسين للغش في مباراة تؤهل رجال الغد في التربية والتعليم ببلادنا !

نعم، وهكذا عبَّد المراقبون الطريق أمام الغاشِّين، عن حُسن نية أو سوء نية، ليحصد هؤلاء النتائج الإيجابية كما حصدوا الميزات ظلما وبهتانا، وما درى هؤلاء ولا هؤلاء أنهم بهذا السلوك يجهِّزون نعوشا لضحايا التربية والتعليم ببلادنا، قد يكون أبناؤهم ممن يُحْمَلون عليها، وأنهم يحفرون نَفَقاً مظلماً لمستقبل البلاد والعباد.

ولذلك قلت في هذا العمود من عدد سابق، ينبغي أن يكون الغش في الواجهة، ونُعْلِن قولا وفعلا: من هنا نبدأ. لاَ إصلاح للتعليم بدون تقويض أركان الغش.

د. عبد الرحيم الرحموني